

٢١٩ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تأليف عياض بن
ش•ق موسى - ٥٤٤هـ . بخط عثمان بن شعبان
سنة ١١٤٧هـ .

٢٠٠ق ٢١س ١٤×٢٢سم

٢٧٤ نسخة جيدة ، الجدولة ورؤوس الفقر بالحمرة ،
خطها تعليق ، طبع

الأعلام ٥ : ٢٨٢ الظاهرية (التاريخ ٢) : ٣١٩
١ـ السيرة النبوية أ ـ القاضي عياض ، عياض بن
موسى - ٥٤٤هـ ب ـ الناسخ ج ـ تاريخ النسخ

هو المعز



بسم الله الرحمن الرحيم وبه

الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه
منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلاً ولا وهماً والباطن تقدساً
لا عدماً وسع كل شيء رحمةً وعلماً واسبغ على اوليائه نعماً عماً
وبعث فيهم رسولاً من انفسهم عرباً وعجماً وازكاهم محتداً
ومنمى وارجحهم عقلاً وحلماً واوفرهم علماً وفهماً واقواهم يقيناً
وعزماً واشدهم بهم رافةً ورحمى زكاه روحاً وجسماً وحاشاه
عيباً ووصماً وآتاه حكمةً وحكماً وفتح به اعيناً عمياً وقلوباً غلفاً
وآذاناً صماً فآمن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة
قسماً وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء
حتماً ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى صلى الله عليه وسلم
صلوة تنمو وتنمى وعلى آله وسلم تسليماً اما بعد اشرق الله
قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لاوليائه
المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه
وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ







قلوبهم حبرة وولّه عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحداً
ولم يروا في الدارين غيره مشاهداً فهم بمشاهدة جماله وجلاله
يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع
اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم
ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت على السؤال في مجموع
يتضمن التعريف بقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم وما يجب له من
توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر
في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا
في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال فاعلم اكرمك الله
انك حملتني من ذلك امراً امراً وارهقتني فيما ندبتني اليه عسراً وارقيتني
بما كلفتني مرتقى صعباً ملأ قلبي رعباً فان الكلام في ذلك
يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض ودقائق
من علم الحقائق مما يجب للنبي او يضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه
ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه
الدرجة العلية وههنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا و
مجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض
تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد لكني لما رجوته لي
ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم و
خلقه العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى
به من حقه الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب
ويزداد الذين آمنوا ايماناً ولما اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب

ليبيّنه للناس ولا يكتمونه. نا حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله
بقراءتي عليه قال نا الحسين بن محمد نا ابو عمر النمري نا ابو محمد بن عبد المؤمن نا ابو بكر
محمد بن بكر نا سليمان بن الاشعث نا موسى بن اسمعيل نا حماد انا علي بن
الحكم عن عطاء عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل
عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة. فبادرت الى نكت مسفرة
عن وجه الغرض. مؤدّيا من ذلك الحق المفترض. اختلستها على استعجال
لما المرء بصدده من شغل البدن والبال. بما طوّقه من مقاليد المحنة التي
ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل. وترد بعد حسن التقويم الى
اسفل سفل. ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمّه كله. فيما يحمد غدا
او يذمّ محلّه. فليس ثمّ سوى حضرة النعيم. او عذاب الجحيم. ولكان عليه
بخويصته. واستنقاذ مهجته. وعمل صالح يستزيده. وعلم نافع يفيده
او يستفيده. جبر الله صدع قلوبنا وعفا عظيم ذنوبنا. وجعل جميع
استعدادنا لمعادنا. وتوفّر دواعينا فيما ينجينا. ويقربنا اليه تعالى ويحظينا
بمنّه ورحمته. ولما نويت تقريبه. ودرجت. ومهّدت
تاصيله. وخلّصت تفصيله. وانتحيت حصره وتحصيله. ترجمته بالشفا
بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة القسم
الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي قولا وفعلا وتوجّه الكلام فيه في
اربعة ابواب الباب الاول في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره
لديه وفيه عشرة فصول الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خَلقا
وخُلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة
وعشرون فصلا الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها

ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصّه به في الدارين من كرامته
وفيه اثنا عشر فصلا الباب الرابع فيما اظهره تعالى على يديه من الآيات
والمعجزات وشرّفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلثون فصلا القسم الثاني
فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام ويترتب القول فيه في اربعة
ابواب الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته
وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول
الباب الثالث في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول
الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة
فصول القسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور
البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب
ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده
من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف
وعده وعند التقصّي لموعده والتفصّي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين
ويشرق قلب المؤمن باليقين ويملأ انواره جوانح صدره ويقدر العاقل
النبي حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين الباب الاول فيما يختص بالامور
الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني
في احواله الدنيوية وما يجوز طروّه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة
فصول القسم الرابع في تصرّف وجوه الاحكام على من تنقّصه او سبّه عليه السلام
وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان ما هو في حقه سبّ او نقص
من تعريض او نصّ وفيه عشرة فصول الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه
ومتنقّصه وعقوبته وذكر استتابته والصلوة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول

وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين
اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي صلى
الله عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها ينجز الكتاب
وتتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم
درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور قوم مؤمنين
وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا اله سواه استعين القسم
الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا قال القاضي الامام ابو الفضل
رضي الله عنه لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من الفهم بتعظيم
الله تعالى قدر نبينا عليه السلام وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن ومناقب
لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام فمنها ما صرح
به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه وآدابه وحض
العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى ثم طهر
وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءا وعودا
والحمد اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال
والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة و
الفضائل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات
البينة التي شاهدها من عاصره ورآها من ادركه وعلمها علم يقين من جاء
بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم
كثيرا حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة
مني عليه قال نا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن
خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادي قال نا ابو علي السنجي قال نا محمد بن احمد بن



احمد بن محبوب نا ابو عيسى بن سورة الحافظ قال نا اسحق بن منصور نا عبد الرزاق
انا معمر عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة
اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك
احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقا الباب الاول في ثناء الله عليه واظهاره
عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر
المصطفى وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه
وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول الفصل الاول فيما جاء من ذلك
مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم
الآية قال السمرقندي وقرأ بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم
قال القاضي الامام ابو الفضل وفقه الله اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب
او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه
بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته ويعلمون صدقه
وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم تكن في العرب
قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وكونه من اشرفهم
وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف
حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم
وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته
بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤف رحيم ومثله في الآية
الاخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الآية
وفي الآية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الآية وقوله كما ارسلنا
فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن ابي طالب عنه عليه السلام في قوله تعالى

من الفتكم قال لستنا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا
نكاح وقال جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا
أنهم لا ينالون الصفو من خدمته فأقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة
ألبسه من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه إلى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته
وموافقته موافقته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال الله تعالى
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال أبو بكر بن طاهر زين الله محمدا بزينة
الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن أصابه شيء
من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما إلى كل محبوب
ألا ترى أن الله يقول وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة
ومماته رحمة كما قال عليه السلام حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال إذا أراد الله
رحمة بأمة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة للعالمين
يعني الجن والإنس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالأمان
من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب قال ابن عباس هو رحمة للمؤمنين وللكافرين بن
إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة وحكي أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل عليه السلام هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت أخشى
العاقبة فأمنت لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين
مطاع ثم أمين وروي عن جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى فسلام لك
من أصحاب اليمين أي بك إنما وقعت سلامتهم من أجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم
وقال الله تعالى الله نور السموات والأرض الآية قال كعب وابن جبير المراد بالنور
الثاني هنا محمد عليه السلام وقوله مثل نوره أي نور محمد وقال سهل بن عبد الله
المعنى الله هادي أهل السموات والأرض ثم قال مثل نوره محمد إذ كان مستودعا



مستودعا في الأصلاب كمشكاة صفتها كذا وأراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة
صدره أي كأنه كوكب دري لما فيه من الإيمان والحكمة توقد من شجرة مباركة
أي من نور إبراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضيء
أي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت
وقد قيل في هذه الآية غير هذا والله أعلم وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير
هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
وقال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا
منيرا ومن هذا قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك إلى آخر السورة شرح
وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس شرحه بالإسلام وقال
سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملأه حكما وعلما وقيل معناه ألم نطهر
قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض
ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل أراد ثقل أيام الجاهلية
وقيل أراد ما أثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل
عصمناك ولولا ذلك لأثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك
ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل إذا ذكرت ذكرت معي في قول لا إله إلا الله
محمد رسول الله وقيل في الأذان قال القاضي أبو الفضل هذا تقرير من الله جل اسمه
لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه
بأن شرح قلبه للإيمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه
ثقل أمور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين
كله وحط عنه عهدة أعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل إليهم
وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعه ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة

رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة
الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله روى ابو سعيد الخدري
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول
تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت
معي قال ابن عطا جعلت تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا جعلتك
ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد
بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة
ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله
والرسول وآمنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشتركة ولا يجوز
جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد
الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه نا ابو عمر النمري قال نا ابو محمد
بن عبد المؤمن نا ابو بكر بن داسة نا ابو داود السجستاني نا ابو الوليد الطيالسي نا
شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء
فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشيئة الله تعالى
على مشيئة من سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي
للاشتراك ومثله الحديث الآخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال
من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين
بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف
على يعصهما وقول ابي سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما



فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب
المعاني في قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي هل يصلون راجعة على الله
تعالى والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير
بالملائكة وقدروا الآية ان الله يصلي وملائكته يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه
انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيتين
روي انه لما نزلت هذه الآية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت
النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته
رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما
نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى
ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله صراط الذين انعمت عليهم فقال
فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين
انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير
قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد عليه السلام وقيل الاسلام وقيل التوحيد
وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد عليه السلام
وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الآيتين اكثر المفسرين
على ان الذي جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به
وقرئ صدق بالتخفيف وقال غيره الذي صدق به المؤمنون وقيل علي وقيل غير هذا
من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم

[illegible]

واصحابه **الفصل الثاني** في وصفه تعالى بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء والكرامة
**قال** الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى
له في هذه الآية ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على
امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه عليه الصلوة والسلام ومبشرا
لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى
به للحق **حدثنا** الشيخ ابو محمد بن عتاب **نا** ابو القاسم حاتم بن محمد **نا** ابو الحسن القابسي **نا**
ابو زيد المروزي **نا** ابو عبد الله بن يوسف **نا** البخاري **نا** محمد بن سنان **نا** فليح **نا** هلال
عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرني عن صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته
في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت
عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان
يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله
بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحاق ولا صخب في الاسواق ولا متزين
بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة لباسه
والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف
خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد
الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر به بعد
القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب مختلفة واهواء
متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفي حديث آخر اخبرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي احمد المختار مولده بمكة

ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون لله على كل حال **و**قال تعالى
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآيتين **و**قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم
الآية **و**قال السمرقندي ذكره الله منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤوفا لين الجانب
ولو كان فظا غليظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله ولكن جعله الله سمحا سهلا
طلقا برا لطيفا هكذا قال الضحاك **و**قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا **و**قال ابو الحسن القابسي ابان الله فضل
نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الآية وفي قوله في الآية الاخرى وفي هذا
ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس **و**كذلك قوله فكيف اذا
جئنا من كل امة بشهيد الآية **و**قوله وسطا اي عدولا خيارا ومعنى هذه الآية وكما
هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة وسطا خيارا عدولا
لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق **وقيل** ان الله جل جلاله اذا
سأل الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد
امة محمد صلى الله عليه وسلم للانبياء ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم **و**قيل معنى الآية
انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي **و**قال تعالى وبشر الذين
آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم **قال** قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق
هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم **وعن** الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم عند ربهم **و**عن ابي
سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم **و**عن سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة
اودعها الله في محمد صلى الله عليه وسلم **و**قال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين
والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي
**الفصل** الثالث فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة فمن ذلك قوله تعالى
عفا الله عنك لم اذنت لهم **قال** ابو محمد مكي هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله

واعزك الله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب
وحكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت
لهم قال ولو بدا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان
ينشق قلبه من هيبة هذا الخطاب لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه
ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب
وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع
دون معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم
معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله
انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال القاضي
ابو الفضل يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتادب
بآداب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية
وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال
من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد
وكيف ابتدا بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب
قال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين
عاتب الله تعالى الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا عليه السلام قبل وقوعه
ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر
بدا بتثبيته وسلامته قبل ما عتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي
طي تخويفه تامينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم
لا يكذبونك الآية قال علي رضه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذين يقولون فانهم

فانهم لا يكذبونك الآية قال علي رضه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا
نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون
فانهم لا يكذبونك وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه
جبريل فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل
الله تعالى الآية ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه السلام والطافه
في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه
قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض
نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن
الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب
الآيات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره لقوله تعالى وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده
بالنصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الآية فمن قرأ يكذبونك بالتخفيف
فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل
لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى
الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك فما ذكر من خصائصه وبر الله تعالى به ان الله تعالى
خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا زكريا
يا يحيى يا عيسى ولم يخاطبه هو الا يا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها المدثر يا ايها المزمل
الفصل الرابع في قسم الله تعالى بعظيم قدره قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم
يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم
واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل
وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال ابن عباس

ما خلق الله تعالى وما ذراه وما براه افضل اكرم على من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت
الله تعالى اقسم بحياة احد غيره قال ابو الجوزا ما اقسم الله بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم
لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات اختلف المفسرون في معنى
يس على اقوال الحكي ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي
عشرة اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق
انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس يس معناه يا انسان
اراد محمدا وقال هو قسم وهو من اسماء الله تعالى قال الزجاج معناه يا محمد وقيل يا انسان
وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السموات والارض
بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان
قدر انه من اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم م
ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وان كان بمعنى الندا فقد جاء قسم
آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه
لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج
فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله لاحد من انبيائه بالرسالة
في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه قال
عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر وقال الله تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل
بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة
اي اقسم به وانت به يا محمد حلال اي حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد
عند هؤلاء مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه
حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه
قوله تعالى وانت حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين



الامين قال آمنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال
ووالد وما ولد من اراد آدم فهو عام ومن قال هو ابراهيم وما ولد فهي اشارة ان شا الله
الى محمد صلى الله عليه وسلم فتضمن السورة القسم به في الموضعين وقال الله تعالى الم ذلك
الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعن غيره فيها غير ذلك
وقال سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد عليهما السلام
وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد
صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب
حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلته قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله
تعالى ق والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة
ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل اسم هو للقرآن وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا
وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد عليه الصلوة والسلام وقال النجم هو
قلب محمد هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله تعالى
والفجر وليال عشر الفجر محمد لانه منه تفجر الايمان الفصل الحادي في قسمه تعالى جده له لتحقيق
مكانته عنده قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف في سبب نزول
هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت
امراة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال
الفقيه القاضي وفقه الله تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به
وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل اذا
سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته
لديه بقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد
ان اصطفاك الثالث قوله وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحاق اي ما لك

في مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اي ما اخرت
لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا الرابع قوله
ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة
وشتات الانعام في الدارين والزيادة قال ابن اسحاق يرضيه بالفلج في
الدنيا والثواب في الآخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي عن بعض
آل النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس آية في القرآن ارجى منها ولا يرضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار الخامس ما عده تعالى عليه من نعمه
وقرره من آلائه قبل في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به
على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه بما آتاه او بما جعله في قلبه من القناعة
والغنى ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه وقيل آواه الى الله وقيل يتيما لا مثال لك
فآواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا وآوى بك
يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل
معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه السادس امره
باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله واما بنعمة ربك
فحدث فان من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام لامته قوله تعالى والنجم
اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله تعالى
والنجم اذا هوى باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن
محمد انه محمد عليه السلام وقال هو قلب محمد وقد قيل في قوله تعالى والسماء والطارق
وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم
حكاه السلمي تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه ما يقف دونه العد
واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا وانه وحي يوحى

[illegible]



يوحى اوصله اليه عن الله جبريل وهو الشديد القوى ثم اخبر الله تعالى عن فضيلته بقصة
الاسرى وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما رأى وانه رأى من آيات
ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا في اول سورة الاسرى ولما كان ما كاشفه عليه السلام
من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل
بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال
فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة
وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت
الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى قال القاضي
ابو الفضل واشتملت هذه الآيات على اعلام الله تعالى بتزكيته جملته عليه السلام وعصمتها
من الآفات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه وقلبه بقوله ما كذب الفؤاد
ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى
فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اي اقسم انه لقول
رسول كريم اي كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين اي متمكن
المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء امين على الوحي قال علي بن عيسى
وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد على هذا له وقال
غيره هو جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعني محمدا قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل
في صورته وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم ومن قرأ بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء
والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد عليه السلام باتفاق وقال الله تعالى ن والقلم الآيات
اقسم تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه
وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه غاية المبرة في المخاطبة
واعلى درجات الآداب في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع

لا يأخذه عدوه ولا يمتن به عليه فقال ان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه
من هباته وهداه اليه اكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي القسم فقال وانك
لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال
الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره
لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر
للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله
ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر
ويبصرون الثلاث الآيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه
وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال
الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد
الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله
له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده
الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة
والاكرام قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه
عليه السلام وقيل هو اسم لله وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف
مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من الوطء والهاء
كناية عن الارض اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على
قدم واحدة وهو قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان
النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل اخبرنا القاضي ابو عبد
الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله
نقلت قال حدثنا ابو ذر الهروي نا ابو محمد الحموي نا ابراهيم بن خزيم الشاشي نا عبد

عبد بن حميد نا هاشم بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طأ
الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الاكرام و
حسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه عليه السلام كما قيل او جعلت قسما لحق
الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك
على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك غضبا او
غيظا او جزعا ومثله قوله تعالى لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم قال ان
نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب
قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بما يقولون الى آخر السورة وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قال مكي
سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك
يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل
من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا
قالوا ساحر او مجنون عزاه الله بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها
لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه
ليس اول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم
اي اعرض عنهم فما انت بملوم في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى
فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك
سلاه الله بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى الفصل السابع فيما اخبره الله به في
كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء وحظوة رتبته قوله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين

قال ابو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره
ابانه به وهو ما ذكره في هذه قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث
نبيا الا ذكر له محمدا ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان
يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب
لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم
لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه
عن السدي وقتادة في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وقال انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال
في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بابي انت وامي يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في اولهم
فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بابي انت وامي
يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم
بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال
قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في
البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل
نبينا عليه السلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ
اخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية
قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لانه
بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس



وليس احد من الانبياء اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى الله عليه وسلم
مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة و
الرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي ويا ايها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي
في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد اي من شيعة محمد
لابراهيم اي على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح عليه السلام
الفصل ان من في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب
بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اي ما كنت بمكة فلما خرج
النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الآية وقوله ولولا رجال مؤمنون الآية فلما هاجر
المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم
ودرءه العذاب عن اهل مكة بسبب كونه فيهم ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم
فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم
واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي الآية ايضا تأويل آخر حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه نا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي
نا ابو يعلى بن زوج الحرة نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب المروزي نا ابو عيسى الحافظ
نا سفيان بن وكيع نا ابن نمير عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف
عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله
علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين كما قال عليه السلام انا امان لاصحابي قيل من البدع وقيل من
الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عا

وما دامت سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء والفتن
وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية ابان الله تعالى فضل نبيه
صلى الله عليه وسلم بصلوته عليه ثم بصلوة ملائكته وامر عباده بالصلوة والتسليم
عليه وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء تاول قوله عليه السلام وجعلت
قرة عيني في الصلوة على هذا اى في صلوة الله عليه وملائكته وامره الامة بذلك
الى يوم القيمة والصلوة من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون
يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علمهم الصلوة عليه بين لفظ
الصلوة والبركة وسنذكر حكم الصلوة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف
كهيعص ان الكاف من كاف اى كفايته الله تعالى لنبيه قال اليس الله بكاف عبده
والهاء هدايته قال ويهديك صراطا مستقيما والياء تاييده قال ايدك بنصره و
العين عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد صلوته عليه قال ان الله
وملائكته يصلون على النبي وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه اى وليه
وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملائكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل على وقيل المؤمنون
على ظاهره الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته قال الله تعالى
انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه الآيات من
فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء
اليه فابتدا جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته على
عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال
بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اى انك مغفور لك وقال مكى جعل المنة سببا
للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم
نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع



ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فاعلمه تمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه
له وفتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ
الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على امته المؤمنين بالسكينة
والطمانينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم و
العفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم
وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا الآية فعدد محاسنه وخصائصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة
لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا
عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت
له من الله الحسنى ويعزروه اي يجلونه وقيل ينصرونه وقيل يبالغون في تعظيمه و
توقروه اي تعظمونه وقراه بعضهم تعززوه بزايين من العز والاكثر والاظهر ان
هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع الى الله تعالى قال ابن
عطا جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو
من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة وهي من اعلام
الاختصاص والهداية وهي من اعلام الولاية فالمغفرة تبرية من العيوب وتمام
النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن
محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحيوته ونسخ به شرايع غيره وعرج
به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر
واحل له ولامته الغنايم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره
بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك

يد الله فوق أيديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده
وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم إياه وعظم شأن المبايع
صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت
إذ رميت ولكن الله رمى وإن كان الأول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة
لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه
ولأنه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم
تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الآية الأخرى إنها على المجاز
العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته أي ما قتلتموهم وما رميتهم أنت إذ رميت
وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع أي أن منفعة الرمي
كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وأنت بالاسم الفصل العاشر فيما أظهره
الله في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى
ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه تعالى من قصة الإسراء في سورة سبحان
والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من
العجائب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله والله يعصمك من الناس وقوله وإذ
يمكر بك الذين كفروا الآية وقوله إلا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه
في هذه القصة من أذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصه نجيا في أمره والأخذ على
أبصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الآيات
ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسبما ذكره أهل الحديث والسير في
قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك
وانحر إن شانئك هو الأبتر أعلمه الله بما أعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة
وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة والمعرفة ثم أجاب



عنه عدوه ورد عليه قوله فقال إن شانئك هو الأبتر أي عدوك ومبغضك
والأبتر الحقير الذليل أو المفرد الوحيد أو الذي لا خير فيه وقال ولقد آتيناك سبعا
من المثاني والقرآن العظيم قيل السبع المثاني السور الطول الأول والقرآن العظيم
أم القرآن وقيل السبع المثاني أم القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل
السبع المثاني ما في القرآن من أمر ونهي وبشرى وإنذار وضرب مثل وإعداد نعم
وآتيناك نبأ القرآن العظيم وقيل سميت أم القرآن مثاني لأنها تثنى في
كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون
الأنبياء وسمى القرآن مثاني لأن القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني
أكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية
والتعظيم والسكينة وقال وأنزلنا إليك الذكر الآية وقال وما أرسلناك
إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا
الآية قال فهذه من خصائصه وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق كافة كما قال
عليه السلام بعثت إلى الأحمر والأسود وقال تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه
أمهاتهم قال أهل التفسير أولى بالمؤمنين من أنفسهم أي ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماض
عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس وأزواجه
أمهاتهم أي هن في الحرمة كالأمهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية
ولأنهن له أزواج في الآخرة وقد قرئ وهو أب لهم ولا يقرأ به الآن لمخالفته
المصحف وقال تعالى وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية قيل فضله العظيم بالنبوة
وقيل بما سبق له في الأزل وأشار الواسطي إلى أنها إشارة إلى احتمال الرؤية
التي لم يحتملها موسى صلى الله عليهما الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا

وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب لهذا
النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال
الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحيوة
الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى ثم هي على فنين ايضا
منها ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري المحض فما ليس
للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة
عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه واعتدال حركاته
وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حيوته اليه من غذائه
ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الآخرة بالاخروية
اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة
وقوانين الشريعة واما المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية والآداب
الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع
والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروة والصمت والتؤدة
والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهي التي جماعها
حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة واصل الجبلة لبعض
الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصولها في اصل
الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها
وجه الله والدار الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب العقول
السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها فصل اذا كانت خصال الكمال
والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة منها او اثنتين ان اتفقت
له في كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة حتى يعظم

يعظم قدره ويضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب اثرة
وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه
كل هذه الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا
بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء
والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث
الى الاحمر والاسود والصلوة بالانبياء والشهادة بين الانبياء والامم
وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند
ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطاء
الرضى والسؤال والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر
وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة و
التاييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم
وتزكية الامة والدعاء الى الله وصلوة الله والملئكة والحكم بين الناس بما اراه
الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات
والعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل
وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على
الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الآلام والعصمة من الناس الى ما لا
يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد له في
الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة
والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون ادانيها الوهم
فصل ان قلت اكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلا

الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل
خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها من اوصافه صلى الله
عليه وسلم فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي و
حبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة
الخلقة وجدته حائز الجميع محيطا بشتات محاسنها دون خلاف
بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة
وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة المشهورة
الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء بن عازب
وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد و
ابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن
فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون
ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه
واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر
عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب
الكفين والقدمين سائل الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد
ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد
ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا
افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئي كالنور يخرج
من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن
ضرب اللحم قال البراء ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه

وسلم

عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلألأ في الجدر وقال
جابر بن سمرة وقال له رجل وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل
مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل
الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلألأ
وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضه في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه
ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم
والاحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا
في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد الى المطلوب وختمنا
هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك ان شاء الله فصل واما
نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد
خصه الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال
الفطرة العشر وقال بني الدين على النظافة حدثنا سفيان بن العاص وغير واحد
قالوا نا احمد بن عمر نا ابو العباس الرازي نا ابو احمد الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم
نا قتيبة نا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا قط
ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر
بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا او ريحا
كأنما اخرجها من جؤنة عطار قال غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح
فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان
بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه
بقارورة تجمع فيها عرقه فسألها صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله
في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن

النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه
ذكر اسحاق بن راهويه ان تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم
وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا
اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك
رائحة طيبة صلى الله عليه وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم
بطهارة الحدثين منه وهو قول بعض اصحاب الشافعي وقد حكى القولين
عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع
المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد
هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي رضه
غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم
اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا ومثله قال ابو بكر رضه حين قبل النبي
صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد
ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار
ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له عليه السلام ويل لك
من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه وقد روي نحو من هذا عنه في
امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يأمر واحدا
منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المرأة التي شربت بوله
صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه المرأة
بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم
قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع
تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا

شيئا فسأل بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم
روى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع
السرة وعن عائشة رضها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط
وعن علي رضه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد
عورتي الا طمست عيناه وفي عكرمة عن ابن عباس رضه انه صلى الله عليه وسلم
نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لانه كان صلى الله
عليه وسلم محفوظا فصل واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة
لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم
ومن تأمل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب
شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم
سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب
فهمه لاول بديهة وهذا ما لا يحتاج الى تقرير لتحققه وقد قال وهب بن منبه
قرأت في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم
ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا وفي اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى
لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله
عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلوة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه
فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وفي الموطأ عنه عليه السلام اني لاراكم من
وراء ظهري ونحوه عن انس في الصحيحين وعن عائشة مثله قالت زيادة زادها الله
اياها في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر من وراءي كما انظر الى من بين يدي
وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد ان

عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما في الضوء والاخبار
كثيرة صحيحة في رويته صلى الله عليه وسلم للملائكة والشياطين ورفع النجاشي
له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده
وقد حكي انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على روية العين
وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر
تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء وخصالهم كما انا ابو
محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه نا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتنا ام
القاسم بنت ابي بكر عن ابيها نا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني نا محمد بن
محمد بن سعيد نا محمد بن احمد بن سليمان نا محمد بن محمد بن مرزوق نا همام
نا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة
الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا بما ذكرناه من
هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى من آيات ربه الكبرى وقد جاءت
الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ع
ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك
يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رايت احدا اسرع
من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد
انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت
معا واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط من صبب فصل واما فصاحة اللسان
وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع
الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ



لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص
ببدائع الحكم وعلم السنة العرب يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها
بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسالونه في موطن
عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس
كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني
وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن حجر
الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان
ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم
وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل
والفارض الداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله
لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر
له الثمد وبارك لهم في المال والولد من اقام الصلوة كان مسلما ومن اتى الزكوة
كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك
ووضائع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوة
وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب
والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق
وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن
كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وفي التيعة
شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن
زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالا
ضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر

يبز فحل على الاقيال اليس هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهورة لما كان
كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ
استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله
في حديث عطية السعدي فان اليد العليا المنطية واليد السفلى هي المنطاة
قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري
حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شئت
وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه
المأثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها
الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ
دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان
المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن
وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله
عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك   ك
مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطؤن   ن
اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا
يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال
واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله
حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور
اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما
وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسئلك
رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها

١٨



بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل
سوء اللهم اني اسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر
على الاعداء الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته
ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز
فيها سبقا لا يقدر قدره وجمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ   قد
في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين
والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به
في اداني حكمها وقد قال له اصحابه ما رأينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني
وانما انزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من
قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة
البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالهي
الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت ام معبد في وصفها له حلو
المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت
حسن النغمة صلى الله عليه وسلم فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه
فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم
وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل
مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد
الصدفي رحمه الله نا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف نا ابو ذر عبد بن احمد نا ابو محمد
السرخسي وابو اسحاق وابو الهيثم نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا قتيبة بن سعيد
نا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن

الذي كنت منه وعن العباس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني
من خيرهم من خير فرقهم ثم تخير القبايل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني
من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل
بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم قال الترمذي وهذا صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبراني انه صلى الله
عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار من بني آدم
فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا فاختار بني هاشم ثم اختارني منهم
بني هاشم فاختارني منهم فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي
احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس ان قريشا كانت
نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق آدم بالفي عام يسبح ذلك النور ويسبح
الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب آدم وجعلني في صلب
نوح وقذف بي في صلب ابرهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة
والارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد
بصحة هذا الخبر شعر العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور فصل واما ما تدعو
ضرورة الجبلة اليه مما فصلناه فعلى ثلثة ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب
الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه فاما التمدح والكمال بقلته اتفاقا
وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح
بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره و
غلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لادواء الجسد وخسارة

منهم



وخسارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس و
قمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة
النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب
للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته
والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام
الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث
وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا
على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين
بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما بارتباط
احدهما بالآخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراتي عليه نا ابو الفضل الاصبهاني
نا ابو نعيم الحافظ نا سليمان بن احمد نا بكر بن سهل نا عبد الله بن صالح نا
معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم
اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث
لنفسه ولان كثرة من كثرة الاكل والشرب قال سفيان الثوري بقلة الطعام
يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا
وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف
اي كثرة الايدي وعن عايشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم
شبعا قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل
وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله الم ار
البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل

له فارا وبيان سنته اذ رآهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستأثرون عليه به فصدق
عليهم ظنه وبين لهم لئلا يجهلوه من بعد بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان
يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن
العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله
عليه وسلم اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعد في الجلوس
له كالتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على
هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه
للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما
يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك
نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك
فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا
على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنأ لهدوء القلب وما يتعلق به من الاعضاء
الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام
النائم على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق فصل و
الضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح
فمتفق عليه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر
بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة مأثورة
وقد قال ابن عباس افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم
وقد قال عليه السلام تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم ونهى عن التبتل مع ما فيه
من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما بقوله صلى الله عليه وسلم من كان ذا
طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في

التقعد وتفعل من القعود ومعناه التثبت والتمكن من القعود الا انه لم يوجد من بنية الباب تفعل والمصنف ثقة فيما يقوله فيجوز انه جائز رويه وللجلوس انواع بينها الثعالبي في فقه اللغة

المستوفز الذي لا يكون مطمئنا بل مستعجلا للقيام

الزهد قال سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين فكيف نزهد فيهن
ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري
النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير
واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل
وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله عليه
بالعجز عما نعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء ولو كان
كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله على يحيى بانه حصور ليس كما قال بعضهم
انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء
وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء وانما معناه انه معصوم من
الذنوب اي لا يأتيها كأنه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل
ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على
النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام
او بكفاية من الله كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها شاغلة في كثير من الاوقات
حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم
تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله
كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن
واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان
كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من دنياكم فدل ان حبه لما ذكر
من النساء والطيب اللذين هما من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه
بل لآخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولانه
ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين

الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة
جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز الحبتين وفصل بين الحالين فقال
وجعلت قرة عيني في الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد
فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا
واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس
انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار
وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا خرجه
النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة
على مائة امراة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر
سليمان ماء مائة رجل وكانت له ثلثمائة امراة وثلثمائة سرية وحكى النقاش ش
وغيره سبعمائة امراة وثلثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده
واكله من عمل يده تسع وتسعون امراة وتمت بتزوج اوريا مائة وقد نبه على
ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث
انس عنه عليه السلام فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة
الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه
في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والآخرة لكن
آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح
ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض وكان صلى الله عليه وسلم
قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها
وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا
واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها



بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها لما
رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابي
مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال هون عليك فاني لست
بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة
رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة
سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره فصل واما
الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل
لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله الى
حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه
الصورة وصاحبه منفقا له في مهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه
مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه
عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك
الله والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له
غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في
صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة
النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل الى
غيره وتصريفه في متصرفه فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي
بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل
الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن
مال غيره ولا مال له فكأنه ليس في يده من المال شيء ملي فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم
وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم

الدار

ولم يتحل نبي قبله وفتح عليه في حيوته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع
جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها
وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم
فما استاثر بشيء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره
وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار
الا دينارا ارصده لديني ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته
وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده
فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره
اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهاة في الملابس
والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود
منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا
يؤدي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة
عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة
المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبي اليه
ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة
ان كانت فضيلة زائد عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها
في مظانها فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي
اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه
واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه
من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها
والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه



وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال
وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضه كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه
وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال انس كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب رضه مثله وكان فيما ذكره
المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة
الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم
الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام بل
غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى
وآتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه
وقال كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب
خلقت وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين
فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم
اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند
ولادتها اياه بقوله لها ان لا تحزني على من قرا من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي
عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال
ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب
في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان عمره
كان حين اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه
بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه
صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد
ابراهيم بعث الله اليه ملكا يامره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت

ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم عليه السلام في النار
ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحاق بالذبح وهو ابن
سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة
عشر شهرا وقيل اوحي الى يوسف وهو صبي عندما تم اخوته بالقائه في الجب يقول الله تعالى
واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الآية الى غير ذلك من اخبارهم وقد حكى
اهل السير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم
لما نشأت بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء مما كانت
الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف
نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا
باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون
ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما
وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل
عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان
على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها
فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل
منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له
ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هي من الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري
عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله
بن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال

وسلم



وقال عمر بن الخطاب في حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء
وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها
ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى فصل فاصل فروعها وعنصر
ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا
ثقوب الرأي وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب
ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل
وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه عليه السلام وبلوغه منه ومن العلم الغاية
التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من
تتبع مجاري احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع
سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء
وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع
وتاصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها
كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب
والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته ان شاء الله دون تعليم
ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي امي
لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقرأه يعلم
ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا
فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا
يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر
ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته
قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في

ب

تعذر وقفه عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه
فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب
فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال
حبس النفس عند الآلام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما
العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم
فقال خذ العفو وامر بالعرف الآية روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
عليه هذه الآية سال جبريل عن تاويلها فقال له حتى اسال العالم ثم ذهب
ثم اتاه فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصابك الآية وقال فاصبر كما صبر اولو العزم
من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الآية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة و
حفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف
الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا نا
محمد بن عتاب نا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره نا ابو عيسى نا عبيد الله نا يحيى بن يحيى نا
مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه
وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله
بها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد
شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا
ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله
عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال



فقال رب لا تذر على الارض الآية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا
من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك
فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل
ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم
اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم اشفق
عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة
والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له
الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده في جوابه ان بين
له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم
اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى
له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ
تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني
فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من
يمنعك مني قال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من
عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في
الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ
سحره وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته
وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل
عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا

بقتل اصحابه وعن انس كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ
الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد
في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك
فانك لا تحمل لي من مالك ولا مال ابيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم
قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا
قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر
ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله
وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا
امرأة وجيء اليه برجل فقيل له هذا اراد ان يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم
لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة
قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ
له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله
عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا
منك احوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله
ثلاث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه
وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد
الا اثنين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل الا حلما
فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث عن حلمه عليه السلام وصبره وعفوه
عند المقدرة اكثر من ان نأتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات
الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة

مقاساة قريش واذى الجاهلية ومصابرته الشدائد الصعبة معهم
الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم
وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني فاعل
بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم الآية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس هبط ثمانون
رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا
فاعتقهم صلى الله عليه وسلم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم الآية
وقال لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه وصحابه
ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفيان الم يأن
لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك
واكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم
رضى صلى الله عليه وسلم فصل واما الجود والكرم والسخاء والسماحة ومعانيها
متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس
فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة
التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة
الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير وكان صلى الله
عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من
عرفه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي رحمه الله نا القاضي ابو الوليد الباجي
نا ابو ذر الهروي نا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحاق البلخي نا
ابو عبد الله الفربري نا البخاري نا محمد بن كثير انا سفيان عن ابن المنكدر سمعت
جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال لا وعن

انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود
الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام
اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس ان رجلا ساله فاعطاه غنما
بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة
واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه
كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة انك تحمل
الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف
واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم
فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه
رجل فساله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه
فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا
فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي
وذكر عن معوذ بن عفراء قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب
يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا قال انس كان
النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده صلى الله عليه وسلم وكرمه
كثيرة وعن ابي هريرة رضه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يساله فاستسلف
له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه
وسقا وقال نصف لك قضاء ونصف لك نائل فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة
فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها
الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف فكان صلى الله عليه وسلم منها



منها بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال
عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد
احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب
لي قال نا القاضي سراج نا ابو محمد الاصيلي نا ابو زيد الفقيه نا محمد بن يوسف نا
محمد بن اسمعيل نا ابن بشار نا غندر نا شعبة عن ابي اسحاق سمع البراء
وساله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله قال نعم لكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء وابو سفيان
آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن
عبد المطلب فما رئي يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله
عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار
ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته
نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان آخذ بركابه
ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب
ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود
ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضه انا كنا اذا حمي البأس
ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما
يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله
عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسا
وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه
وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع
الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر
على فرس لأبي طلحة عُري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال
عمران بن حصين ما لقي صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب
ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول أين محمد لا نجوت إن نجا وقد
كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس
أعلفها كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
أنا أقتلك إن شاء الله فلما رآه يوم أحد شد أبي على فرسه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا
أي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة
تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله النبي عنه صلى الله
عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً وقيل بل كسر ضلعاً
من أضلاعه فرجع إلى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال
لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال أنا أقتلك والله لو بصق علي لقتلني
فمات بسرف في قفولهم إلى مكة فصل وأما الحياء والإغضاء فالحياء رقة
تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته أو ما يكون تركه خيراً من فعله
والإغضاء التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم
أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء قال الله تعالى إن ذلكم
كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الآية وحدثنا أبو محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي
عليه نا أبو القاسم حاتم بن محمد نا أبو الحسن القابسي نا أبو زيد المروزي نا محمد بن
يوسف نا محمد بن إسمعيل نا عبدان أنا عبد الله أنا شعبة عن قتادة قال سمعت
عبد الله مولى أنس عن أبي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد



أشد حياء من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه
وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحداً
بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة رضه كان صلى الله عليه وسلم إذا بلغه
عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون
أو يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى أنس أنه دخل عليه رجل به أثر
صفرة فلم يقل له شيئاً وكان لا يواجه أحداً بما يكرهه فلما خرج قال لو قلتم له يغسل
هذا ويروى ينزعها قالت عائشة في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً
ولا متفحشاً ولا سخاباً بالأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو
ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية عبد الله بن سلام و
عبد الله بن عمرو بن العاص وروي عنه أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه
أحد وأنه كان يكني عما اضطره الكلام إليه مما يكره وعن عائشة ما رأيت فرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم قط فصل وأما حسن عشرته وأدبه وبسط
خلقه صلى الله عليه وسلم مع أصناف الخلق فبحيث انتشرت به الأخبار الصحيحة
قال علي رضه في وصفه عليه السلام كان أجود الناس صدراً وأصدق الناس
لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة حدثنا أبو الحسن علي بن مشرف الأنماطي فيما
أجازنيه وقرأته على غيره قال نا أبو إسحاق الحبال نا أبو محمد بن النحاس نا ابن الأعرابي
نا أبو داود نا هشام أبو مروان ومحمد بن المثنى نا الوليد بن مسلم نا الأوزاعي
سمعت يحيى بن أبي كثير يقول نا محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن قيس
بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما أراد
الانصراف قرب له سعد حماراً وطأ عليه بقطيفة وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله

صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف
فانصرفت وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل
قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد
منهم بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه
ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو
المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع
الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا
وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس
بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما
لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال ادفع بالتي هي احسن الآية وكان
يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال انس خدمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط ولا قال لشيء
صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي الله عنها ما كان احد
احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل
بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
منذ اسلمت ولا رآني الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم
ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين
ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس ما التقم احد اذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه
وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي



يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة لم
ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما
بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى
ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز
فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتهاء او قيام وروي انه كان لا يجلس اليه احد
وهو يصلي الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان
اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب
قال عبد الله الحارث ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن انس كان خدم المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى
الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك
في الغداة الباردة يريدون به التبرك فصل واما الشفقة والرأفة والرحمة
لجميع الخلق فقد قال تعالى عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه السلام ان الله اعطاه
اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن
فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه نا امام الحر بين
ابو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا ابو احمد الجلودي نا ابراهيم بن سفيان نا
مسلم بن الحجاج نا ابو الطاهر نا ابن وهب اخبرني يونس عن ابن شهاب
قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب
نا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه
لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروي ان اعرابيا

جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه ثم قال أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا
أجملت فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام و
دخل منزله وأرسل إليه وزاده شيئا ثم قال أحسنت إليك قال نعم فجزاك الله
من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك قلت ما قلت وفي أنفس
أصحابي من ذلك شيء فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى
يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغداة أو العشي جاء فقال صلى الله
عليه وسلم إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك قال نعم
فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل
رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا فناداهم
صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها
فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها
واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي
عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا
فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ومن شفقته على أمته
عليه السلام تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم
كقوله لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلاة الليل
ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت أمته ورغبته لربه
أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته
ومن شفقته صلى الله عليه وسلم أن دعا ربه وعاهده فقال أيما رجل سببته
أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها
إليك يوم القيامة ولما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال له إن الله



قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما
شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال له مرني بما شئت إن شئت
أن أطبق عليهم الأخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله
من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر أن
جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله أمر السماء والأرض
والجبال أن تطيعك فقال أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم قالت
عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما
وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة
وعن عائشة أنها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق فصل وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في
الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي أبو عامر محمد بن إسمعيل
علي قال نا أبو بكر محمد بن محمد نا أبو إسحاق الحبال نا أبو محمد بن النحاس نا ابن الأعرابي
نا أبو داود نا محمد بن يحيى نا محمد بن سنان نا إبراهيم بن طهمان عن بديل
عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحمساء
قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية
فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا
هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك
وعن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتي بهدية قال اذهبوا بها إلى
بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة إنها كانت تحب خديجة وعن عائشة
قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت أسمعه يذكرها وإن
كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها واستأذنت عليه أختها فارتاح

البها ودخلت عليه امراة فهش لها واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها
كانت تاتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم
فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم وقال
صلى الله عليه وسلم ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما
سابلها ببلالها وقد صلى عليه السلام بامامة ابنة ابنته زينب يحملها
على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة وفد وفد للنجاشي
فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه نحن نكفيك
فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم ولما جيء باخته
من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه
وقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومك
فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت النبي صلى الله عليه وسلم وانا
غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه
فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وعن عمر بن السائب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له
بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر
فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاجلسه بين يديه وفي حديث خديجة رضه انها قالت له صلى الله عليه وسلم
ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم
وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم
على علو منصبه ورفعة رتبته فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا و
حسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون



يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت
له انك سيد ولد آدم يوم القيمة واول من تنشق الارض عنه واول شافع
حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقراتي عليه في منزله بقرطبة سنة
سبع وخمسمائة قال نا ابو علي الحافظ نا ابو عمر بن عبد المؤمن نا ابن داسة نا ابو
داود نا ابو بكر بن ابي شيبة نا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي
العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم
يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان
يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة
العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر
عنه لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله
وعن انس ان امراة كان في عقلها شيء جاءته فقالت ان لي اليك حاجة قال
اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك
قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال
انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان
يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى
خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث
وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا
سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه
مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد يمس قادمته
تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى

ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم
ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير
البرية ذاك ابراهيم وسياتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله
وعن عائشة والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان
في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله و
يخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه وياكل مع الخادم
ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس ان كانت الامة من اماء
اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت ات
حتى يقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون
عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن
ابي هريرة رضه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل
وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم
يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل
منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله
فصل واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله
عليه وسلم آمن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ
كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن
اسحاق كان يسمى الامين بما جمعه الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع
ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش
وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله
عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به

به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية
قبل الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين
في الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه نا ابو الفضل بن
خيرون نا ابو يعلى بن زوج الحرة نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب المروزي
نا ابو عيسى الحافظ نا ابو كريب نا معاوية بن هشام عن سفيان عن ابي اسحاق
عن ناجية بن كعب عن علي ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك بك
ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله فانهم لا يكذبونك الآية وروى غيره
ما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال له
يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق ام كاذب
فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسال هرقل عنه
ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن
الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا و
اعظمكم امانة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر
لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امراة قط لا يملك
رقها وفي حديث علي في وصفه عليه السلام اصدق الناس لهجة وقال في الصحيح
ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عائشة رضه
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان
كان اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال
يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج بج
قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلثة اجزاء

جزء لله وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين
بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع آمنه الله يوم الفزع الاكبر
وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ احدا بقرف احد ولا يصدق
احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما
كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد
من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان
يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى
جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست
انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت ولم اقض شيئا
ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء **فصل** واما وقاره صلى الله
عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه **فحدثنا** ابو علي الجياني الحافظ اجازة
وعارضت بكتابه قال **نا** ابو العباس الدلائي **نا** ابو ذر الهروي **نا** ابو عبد الله الوراق
**نا** اللؤلؤي **نا** ابو داود **نا** عبد الرحمن بن سلام **نا** حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن
ابي الزناد وعن عمر بن عبد العزيز بن وهيب سمعت خارجة بن زيد يقول كان
النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه **وروى**
ابو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه
وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا **وعن** جابر بن سمرة تربع وربما جلس
القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة
يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك
اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع
فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم



رؤسهم الطير وفي صفته يخطو تكفيا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب **وفي** الحديث
الآخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان
**وقال** عبد الله بن مسعود ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم **وعن** جابر بن
عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل **قال** ابن ابي
هالة كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر **قالت** عائشة كان صلى الله
عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه **وكان** صلى الله عليه وسلم يحب الطيب
والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب الي من دنياكم
النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة **ومن** مروءته صلى الله عليه وسلم
نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء
البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة **فصل** واما زهده في الدنيا فقد تقدم
من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها
وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها الى ان توفي صلى الله عليه وسلم
ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق
آل محمد قوتا **حدثنا** سفيان بن العاص والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله
التميمي قالوا **نا** احمد بن عمر قال **نا** ابو العباس الرازي قال **نا** ابو احمد الجلودي **نا** ابن سفيان
**نا** ابو الحسين بن الحجاج **نا** ابو بكر بن ابي شيبة **نا** ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم
عن الاسود عن عائشة قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام تباعا
من خبز حتى مضى لسبيله **وفي** رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء
لاعطاه الله ما لا يخطر بباله **وفي** رواية اخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خبز بر حتى لقي الله **وقالت** عائشة ما ترك رسول الله دينارا ولا درهما ولا
شاة ولا بعيرا **وفي** حديث عمرو بن الحارث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة

قالت عايشة ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي وقال لي
إني عرض علي أن تجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما
فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمد كن
وأثني عليك. وفي حديث آخر أن جبريل نزل عليه فقال له إن الله يقرئك السلام ويقول
لك أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فأطرق ساعة
ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له
فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت. وعن عايشة قالت إن كنا آل محمد
لنمكث شهرا ما نستوقد نارا إن هو إلا التمر والماء. وعن عبد الرحمن بن عوف
هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير. وعن عايشة
وأبي أمامة وابن عباس نحوه. قال ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله
الليالي المتتابعة طاويا ولا يجدون عشاء. وعن أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط. وعن عايشة
إنما كان فراشه الذي ينام عليه أدما حشوه ليف. وعن حفصة كان فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له
ليلة بأربع فلما أصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فإن وطاته
منعتني الليلة صلاتي وكان ينام أحيانا على سرير مرمول بالشريط حتى يؤثر في جنبه. وعن
عايشة قالت لم يمتل جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى إلى
أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته
من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها و
رغد عيشها ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه مما به من الجوع
وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عايشة ما لي



ولي وللدنيا إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا
فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني
أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو أحب
إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي قالت فما أقام بعد إلا شهرا حتى توفي صلى الله
عليه وسلم. فصل وأما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه
ولذلك قال فيما حدثناه أبو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال نا أبو القاسم الطرابلسي
نا أبو الحسن القابسي نا أبو زيد المروزي نا أبو عبد الله الفربري نا محمد بن إسماعيل نا
يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن
أبا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا. زاد في روايتنا عن أبي عيسى الترمذي رفعه إلى أبي ذر إني
أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع
أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات
تجأرون إلى الله لوددت أني شجرة تعضد. روي وددت أني شجرة تعضد
من قول أبي ذر نفسه وهو أصح. وفي حديث المغيرة صلى الله عليه وسلم حتى
انتفخت قدماه. وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أتكلف هذا
وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا
ونحوه عن أبي سلمة وأبي هريرة. وقالت عايشة كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق. وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى
نقول لا يصوم. ونحوه عن ابن عباس وأم سلمة وأنس. وقال كنت لا تشاء
أن تراه من الليل مصليا إلا رأيته مصليا ولا نائما إلا رأيته نائما. وقال عوف

بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضا
ثم قام يصلي فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف فسال
ولا يمر بآية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي
الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرا آل عمران ثم سورة سورة يفعل
مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه
وقال حتى قرا البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير اتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة
وقال عليه السلام اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن
علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة
راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة
كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى غنيمتي والعجز فخري والزهد
حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في
الصلاة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى
ربي فصل اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات
الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن
هي هذه الصفة لانها صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم
صلوات الله عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله
بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد اختر نا
هم على علم على العالمين وقال عليه السلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة



صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم
عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة رايت موسى
فاذا رجل ضرب رجل اقنى كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى فاذا هو رجل
ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل السيف
قال وانا اشبه ولد ابراهيم به وقال في حديث آخر في صفة موسى كاحسن ما انت
راء من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى
من بعد لوط نبيا الا في ذروة من قومه ويروى في ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي
عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس ما بعث الله نبيا الا حسن
الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل
وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب كذلك الرسل تبعث في انساب
قومها وقال تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى
خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصا لحين
وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران الآيتين وقال في نوح
انه كان عبدا شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين
وقال اني عبد الله آتاني الكتاب الى ما دمت حيا وقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى
حييا ستيرا ما يرى من جلده شيء استحياء الحديث وقال تعالى عنه فهب لي
ربي حكما الآية وقال في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين وقال ان خير من
استاجرت القوي الامين وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ووهبنا له
اسحاق ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح
والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام عليم حليم وقال ولقد فتنا قبلهم

قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
وقال في اسمعيل انه كان صادق الوعد الانبياء وفي موسى انه كان مخلصا وفي
سليمان نعم العبد انه اواب وقال اذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب
اولي الايدي والابصار لطلب الاخبار وفي داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه و
آتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ
عليم وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا وقال عن شعيب ستجدني ان شاء الله
من الصالحين وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات
الآية قال سفيان هو الحزن الدائم في آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم
الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم ابن الكريم ابن
الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي وفي حديث
انس وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان كان
مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس
لذائذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير واوحي اليه يا رأس العابدين وابن محجة الزاهدين
وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها و
يمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع
وروى ابو هريرة عنه عليه السلام خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج
فيقرأ القرآن قبل ان تسرج ولا يأكل الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له الحديد
ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه
عن بيت مال الله وقد قال عليه السلام احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام
الى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما



يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح
والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا
ببصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت
العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا
يتعرف سيرته فيستمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا
قال انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن
له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين
وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه
من الهزال وقال عليه السلام لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل
وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه السلام للخنزير اذهب
بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني المنطق بسوء وقال مجاهد
كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان
يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه السلام كان
يستظل بعريش ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع
الدابة تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه واخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم
في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا
نلتفت الى ما تجده في كتب بعض جهلة المؤرخين والمفسرين مما يخالف هذا

فصل

قد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال
العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والامر
اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء
وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح

والمشهور من المعتقدات واقتصرنا في ذلك بقلّ من كلّ وغيض من فيض ورأينا
أن نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن أبي هالة الجامع من شمائله وأوصافه
كثيرا وأوراد جملا كافية من سيره وفضائله ونفصل بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله
حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة قال نا
الإمام أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قرأت على أخيكم الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن
عبد الله الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدي والقاضي
أبو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا نا أبو القاسم علي بن أحمد بن الحسن الخزاعي
قالوا أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ
قال نا سفيان بن وكيع نا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي إملاء من كتابه نا رجل
من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضه يكنى أبا عبد الله عن ابن
لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضه قال سألت خالي هند بن أبي هالة
قال القاضي أبو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن خداداد
الكرجي الباقلاني قال وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون قالا
أنا أبو علي الحسن بن أحمد بن هيثم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن
مهران الفارسي قراءة عليه فأقر به قال أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن
جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف
بابن طاهر العلوي قال نا إسمعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن اخي م
الحسين بن علي بن أبي طالب قال نا علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أخيه موسى
بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي
واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان وصافا وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئا أتعلق به فقال كان رسول الله

الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع
وأقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز
شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير
قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم
كث اللحية أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن
عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر
مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة
بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر
طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف سبط القصب
خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا
ويمشي هونا ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعا
خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق صحبه
ويبدأ من لقيه بالسلام قلت دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة
طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه
ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وإن دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم
ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه
ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها فضرب
بإبهامه اليمنى راحة اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه جل
ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا
ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سألت أبي عليه السلام عن دخول

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك فكان اذا
اوى الى منزله جزأ دخوله ثلثة اجزاء جزء لله تعالى وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزءه
بينه وبين الناس فرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته
في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة
ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة
من مسألته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب
وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع
ابلاغها اياه ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره
قال في حديث سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا يفترقون الا عن ذواق
ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم
ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي
عن احد بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويقويه
ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا
لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس
خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة
ومؤازرة قال فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم
جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه
ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او فاوضه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف
عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه



وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى
وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة
لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تثنى فلتاته وهذه الكلمة من غير
الروايتين يتعاطفون بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير
ويرفدون الحاجة ويرحمون الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في
جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين
الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما
لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكثار وما لا يعنيه وترك
الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما
يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنا زعون
عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث اولهم يضحك
مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول
اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من مكافئ ولا
يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث سفيان
بن وكيع وزاد الآخر قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته
على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين
الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم الصبر فكان لا
يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح ليتنهى
عنه واجتهاد الرأي بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والآخرة انتهى
الوصف بحمد الله وعونه فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب
اي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط والشعر

الرجل الذي كأنه مُشط فتكسّر قليلاً ليس بسبط ولا جعد العقيقة شعر الرأس اراد
ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر
اللون نيّره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحيوة الدنيا اي زينتها وبهذا جاء في
الحديث الآخر ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم والامهق هو الناصع البياض والآدم الاسمر
اللون ومثله في الحديث الآخر ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس
الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة
الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه
بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الآخر اشكل العين وانجل العين
وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها
وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا
والمسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك
معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم
اي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما و
مشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فيكون من الاقبال وهو احد معاني اشاح اي
انه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل
سواء البطن والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين
وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس
رؤوس العظام وهو مثل قوله في الحديث الآخر جليل المشاش والكتد والمشاش
المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين
وسائل الاطراف اي طويل الاصابع وذكر ابن الانباري انه روي سائن الاطراف
وقال سائن بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون ان صحت الرواية



الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه
كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي واسعها وقيل كنى به عن سعة
العطاء والجود وخمصان الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله
الارض من وسط القدم ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث
ابي هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى
قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح بن مريم اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا
ايضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن
المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه كان
يرفع فيه رجليه بسرعة خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون
عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه
والعرب تمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال والقبض وحب الغمام البرد وقوله
فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فيوصل عنه
للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا اي
محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا يتفرقون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه
ويشبه ان يكون على ظاهره اي في الغالب الاكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر
المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ للمصلى موضعا معلوما وقد
ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه
ولا تؤبن فيه الحرم اي لا تذكر بسوء ولا تنثى فلتاته اي لا يتحدث بها اي لم يكن فيه
فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والسخب الكبير الصياح وقوله
ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من
مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم يستفزه يستخفه وفي حديث اخر

في وصفه منهوس العقب أي قليل لحمها وأهدب الأشفار أي طويل شعرها **الباب الثالث**
فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين
من كرامته صلى الله عليه وسلم **لا خلاف** أنه أكرم البشر وسيد ولد آدم وأفضل الناس
منزلة عند الله تعالى وأعلاهم درجة وأقربهم زلفى **واعلم** أن الأحاديث الواردة في
ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر
فصلا **الفصل الأول** فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر
والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه
الطيب **أخبرنا** الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل إذنا بلفظه قال **نا** أبو الحسن الفرغاني
**حدثتنا** أم القاسم بنت أبي بكر بن يعقوب عن أبيها **نا** حاتم هو ابن عقيل عن يحيى
هو ابن إسمعيل عن يحيى الحماني **نا** قيس عن الأعمش عن عباية بن ربعي عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم
قسما فذلك قوله أصحاب اليمين وأصحاب الشمال فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين
ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله فأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة
والسابقون السابقون فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث
قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فأنا أتقى ولد
آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله
إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية **وعن** أبي سلمة عن أبي هريرة قالوا
يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد **وعن** واثلة بن الا سقع
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم ومن ولد
إبراهيم من ولده إسمعيل واصطفى من ولد إسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة
قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم **ومن** حديث أنس أنا أكرم م



أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر **وفي** حديث ابن عباس أنا أكرم الأولين والآخرين ولا
فخر **وعن** عائشة عنه عليه السلام أتاني جبريل فقال قلبت مشارق الأرض ومغاربها
فلم أر رجلا أفضل من محمد ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم **وعن** أنس أن النبي
صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد
تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا **وعن** ابن عباس عنه عليه السلام
لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي
في النار في صلب إبراهيم ثم لم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة
حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط وإلى هذا أشار العباس بن عبد
المطلب رضي الله عنه بقوله. من قبلها طبت في الظلال. وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر. أنت ولا مضغة ولا علق. بل نطفة تركب السفين. وقد
ألجم نسرا وأهله الغرق. تنقل من صالب إلى رحم. إذا مضى عالم بدا طبق **وروي** عنه
صلى الله عليه وسلم أبو ذر وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وجابر بن عبد الله أنه
قال أعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة
شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل
وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة
**وفي** رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه **وفي** رواية وعرضت علي أمتي فلم يخف
علي التابع من المتبوع **وفي** رواية بعثت إلى الأحمر والأسود **وقيل** السود العرب
لأن الغالب على ألوانهم الأدمة فهم من السود **و**الحمر العجم **و**قيل البيض والسود من
الأمم **و**قيل الحمر الإنس والسود الجن **وفي** الحديث الآخر عن أبي هريرة نصرت بالرعب
وأوتيت جوامع الكلم وبينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في
يدي **وفي** رواية عنه وختم بي النبيون **وعن** عقبة بن عامر أنه قال عليه السلام إني

وخط لكم وانا شهيد عليكم والله اني لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت
مفاتيح خزاين الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني
اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت
خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت من يدي الساعة ومن رواية ابن
وهب انه عليه السلام قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسأل يا رب اتخذت ابراهيم
خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد
من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك
مع اسمي ينادى به في جو السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك
لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبات لك شفاعتك ولم اخباها
لنبي غيرك وفي حديث آخر رواه حذيفة بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة
معي من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني
ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي
شهرا وطيب لي ولامتي المغانم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا
في الدين من حرج وعن ابي هريرة عنه عليه السلام ما من نبي من الانبياء الا وقد
اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي
فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت
الدنيا وساير معجزات الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة
القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول
هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكرنا سوى هذا آخر باب المعجزات وعن علي



عنه رضه لكل نبي اعطي سبعة نجباء من امته واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة
عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لا تحل لاحد بعدي
وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اني عند الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وعدة ابي ابراهيم
وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على
اهل السماء وعلى الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان
الله قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الآية وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا
مبينا الآية قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه الآية وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد بن معدان
ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك
وقد روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة
ابي ابراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت امي حين حملت بي عيسى
انه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت في بني سعد
بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان عليهما ثياب
بيض وفي حديث آخر ثلثة رجال بطست من ذهب مملوة ثلجا فاخذاني فشقا
بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه
فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه
قال وفي حديث آخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه
فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الآخر يده على مفرق صدري
فالتام وفي رواية ان جبريل قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان

سبيعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني فرجحتهم
ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته
فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال في
الحديث الآخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا
حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا
الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان معك ملائكته قال في حديث ابي
ذر فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو
الليث السمرقندي وغيرهما ان آدم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي
خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله من اين عرفت محمدا قال رايت
في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي
ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند
قائله تاويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفي رواية الآجري فقال آدم
لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد
رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك
فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما
خلقتك قال وكان آدم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر وروي عن سريج بن يونس
انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتها كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم
لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله
محمد رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته كنز
لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا



لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف
يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس على باب
الجنة مكتوب انني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر
انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر
السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه
مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد
الهند وردا احمر مكتوبا عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروى جعفر
بن محمد عن آله اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة — ابيه
لكرامة اسمه عليه السلام وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن
مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا وعنه
عليه السلام ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن
مسعود ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار قلب محمد عليه السلام فاصطفاه
لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الآية
قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل
نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء
من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما راى
من آيات ربه الكبرى ومن خصائصه عليه السلام قصة الاسراء وما انطوت عليه
من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الآية وقال والنجم اذا هوى
الى قوله لقد راى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه السلام

اذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد نبينا عليه السلام
فيه احاديث كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب
ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله
التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا نا ابو العباس العذري نا ابو العباس الرازي نا ابو
احمد الجلودي نا سفيان نا مسلم بن الحجاج نا شيبان بن فروخ نا حماد بن سلمة
نا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند
منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها
الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء
من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى
السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد
بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي
بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن
معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة
عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا
الى الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو
قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله
فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج
بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج
بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج
بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت



المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه
ثم ذهب بي الى السدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال
قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها
من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم وليلة
فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلوة قال
ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد
بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي
فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا
يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين
ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة
لكل صلوة عشر فذلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له
حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان
عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال
ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رحمه الله عنه جوّد ثابت رحمه الله
هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يأت احد عنه باصوب من هذا وقد خلط
فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله
مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي
وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء ولا
خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل
قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل

الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه
تلك القصة مفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس فجودوا في القصتين
وفي ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة
وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج من هناك فازاح كل اشكال ووهمه
غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري
ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها
في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فذكر القصة وروى قتادة
الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتاخير وزيادة
ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن
واجود وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا
منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح
الا آدم وابراهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس
ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس ثم انطلق
بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت
الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك
قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي
حديث ابي هريرة وقد رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلاة فاممتهم
فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي
حديث ابي هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة
فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا



هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه
الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء
فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود
وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان محمدا صلى الله عليه وسلم
اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي
ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه
تبيان لكل شيء وجعل امتي خير امة وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي
هم الاولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع
لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه
عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن
مسعود وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي
ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها
قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة رضي
من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد
من امتك خلا على سبيلك وهي سدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء
غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار
من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة
منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله اذ يغشى السدرة
ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته
ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد
وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين

والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التورية والانجيل
وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما
سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التورية محمد
حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم
الآخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي
وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني
ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي
لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى فاعطي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا قال اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم
سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد
ما رأى الآيتين رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه رأى
موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله
فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روي عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى
بالانبياء ببيت المقدس وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد الله تعالى
ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت
عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم
فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك
من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي
بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل
ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي
انا اكبر انا اكبر ثم قال اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي



عبدي انا لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن
قوله حي على الصلوة حي على الفلاح قال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام اهل
السماء منهم آدم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله
لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال القاضي رضه
ما في هذا الحديث من الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون و (وذكر)
الباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن
حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء و
متى شاء كقوله كلا انهم عن ربهم لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ (يومئذ)
خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته
عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من
الحديث قول جبريل عن الملك الذي خرج من ورائه ان هذا الملك ما رأيته منذ
خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول
كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله
لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش
الرحمن او امرا ما من عظيم آياته او مبادي حقائق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى
واسئل القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر فظاهره
انه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب كما قال وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته
فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن
بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله اعلم فصل ثم اختلف السلف
والعلماء هل كان اسراء بروحه او جسده على ثلث مقالات فذهبت طائفة

لا انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق ووحي خ
والى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحاق
وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك وما حكوا عن عائشة ما فقدت
جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نائم وقول انس وهو نائم
في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام
وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق
وهذا قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة
وابي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب
وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج
ودليل قول عائشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهذا
قول المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة
كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح واحتجوا
بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل المسجد
الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد
به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده الى زائد
على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل
صلى ببيت المقدس ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر
ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي
رحمه الله والحق من هذا والصحيح ان شاء الله انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه
تدل الآية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل
الا عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان مناما



مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا
ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم
يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الى
ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس في رواية انس
ح او في السماء على ما روى غيره وذكر مجيء جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح
السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه
وترحيبهم به وشأنه في فرض الصلوة ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض
هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله ثم عرج بي حتى
ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وا
دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله
عليه وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا جالس في الحجر جاءني
جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك
ثلاثا فقال في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا انا بدابة وذكر خبر
البراق وعن ام هانئ ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي
تلك الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا ام هانئ لقد
صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت
المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون وهذا بين
في انه بجسمه وعن ابي بكر من رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله
عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم
اجدك فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر قال قال رسول الله صلى
عليه وسلم

صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم
معه آنية ثلاث وذكر الحديث وهذه الصخرة طاهرة غير مستحيلة فتحمل
على ظاهرها وعن ابي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة
فنزل جبرئيل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم الى آخر القصة ثم اخذ بيدي
فعرج بي وعن انس انه قال فانطلقوا بي الى زمزم فشرح عن صدري وعن
ابي هريرة لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن اشياء
لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ونحوه عن جابر
وقد روى عمر بن الخطاب في حديث الاسراء عنه عليه السلام انه قال ثم جئت
الى خديجة وما تحولت عن جانبها فصل في ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا
بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي اسرى يرده
لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسرا
بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك
في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين قد
اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية وما وقع فع
في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها في الحديث
مناما وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان وقوله ايضا وهو نائم وقوله
ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نائم
او اول اخذه والاسراء به وهو نائم وليس في الحديث انه كان نائما في القصة
كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى
اصبحت او استيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول
ليله وانما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان



كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة
الملأ الاعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو
بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى
لفظه ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا
تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال تغمض عينيه
لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلوته
بالانبياء ولعله كانت له في هذا الاسراء حالات ووجه رابع وهو ان يعبر
بالنوم ههنا عن هيئة النائم من الاضطجاع يقويه قوله في رواية عبد بن حميد
عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا انا في
الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون
سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه
الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما
هي من رواية شريك عن انس فهي منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث
الصحيحة انما كان في صغره عليه السلام وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان
يبعث والاسراء كان باجماع بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية
انس مع ان انسا قد بين من طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي
صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم
لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث
واما قول عائشة ما فقدت جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم
تكن حينئذ زوجه ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف
في الاسراء متى كان فان الاسراء كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن

وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عايشة في الهجرة بنت نحو ثمانية
اعوام وقد قيل كان الاسرا لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه
انه لخمس والحجة لذلك تطول وليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عايشة رضه
دل انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه
مما وقع نصا في حديث ام هاني وغيره وايضا فليس حديث عايشة بالثابت
والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هاني وما ذكرت فيه خديجة وايضا
فقد روي في حديث عايشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم
الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان تكون
رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى
ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم ووحي
لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف
الامر للبصر وقد قال اهل التفسير في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى اي لم يوهم القلب
العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما رأته عينه فصل واما رؤيته
صلى الله عليه وسلم لربه جل وعز فاختلف السلف فيها فانكرته عايشة حدثنا
ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال نا ابي وابو عبد الله بن عتاب
الفقيه قالا نا يونس بن مغيث نا ابو الفضل الصقلي نا ثابت بن قاسم بن ثابت
عن ابيه وجده قالا نا عبد الله بن علي نا محمد بن آدم نا وكيع عن ابن ابي خالد
عن عامر عن مسروق انه قال لعايشة يا ام المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت
لقد قف شعري مما قلت ثلث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك
ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار الآية وذكر الحديث
وقال جماعة بقول عايشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه



انه قال انما رأى جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته
في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس انه
رآه بعينه وروى عطاء عنه رآه بقلبه وعن ابي العالية عنه رآه بفؤاده
مرتين وذكر ابن اسحاق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسأله هل رأى
محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه رأى ربه بعينيه روي ذلك عنه من طرق
وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابرهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله
ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى قال الماوردي
وقيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين وكلمه موسى
مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى
عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما
نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته
الجبال وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه
محمد بقلبه وروى شريك عن ابي ذر في تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم
ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني وروى
مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر
كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان
يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض
المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحاق ان مروان سأل
ابا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال
انا اقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد

قال ابو عمر قال احمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار
وقال سعيد بن جبير لا اقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن
عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه
وعن الحسن وابن مسعود رأى جبرئيل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه
انه قال رآه وعن ابن عطاء في قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره
للرؤية وشرح صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري رضه
وجماعة من اصحابه انه رأى الله ببصره وعيني رأسه وقال كل آية اوتيها نبي من الانبياء
عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف
بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون قال القاضي
ابو الفضل رضه والحق الذي لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا و
ليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها
ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل الا جائزا غير
مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله فقال
له الله لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو اقوى من
بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها
على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته
جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه الابصار لاختلاف
التأويلات في الآية واذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل
بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه
ابصار الكفار وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل
لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية

منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الآية وقوله تبت
اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها لن تراني في
الدنيا انما هو تأويل وايضا فليس فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى
وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله
تبت اليك اي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني اي
ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رأيت لبعض
السلف والمتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب
اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية
فاذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم
انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رأيت نحو هذا لمالك بن
انس رضه قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الآخرة
ورزقوا ابصارا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل
على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى من شاء من
عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة
بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما بقوة الهية منحاها لادراك
ما ادركاه والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن الآيتين ما معناه
ان موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل رأى ربه فصار
دكا بادراك خلقه الله له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر الى
الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى
صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله
بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى

رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال
برؤية محمد نبينا له اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الآيات
نص بالمنع واما وجوبه لنبينا والقول بانه رآه بعينه فليس فيه قاطع ايضا
ولا نص اذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا
اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر
عن اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه
ومثله حديث ابي ذر في تفسير الآية وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب
الاسناد والمتن وحديث ابي ذر الآخر مختلف محتمل مشكل فروي نوراني اراه
وحكى بعض شيوخنا انه روي نور اني اراه وفي حديثه الآخر سألته فقال
رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رأيت
نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله والى
هذا يرجع قوله نوراني اراه اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل
ما جاء في الحديث الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر لم اره بعيني ولكن رأيته
بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر في
القلب او كيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين في الباب اعتقد
ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق تعالى فصل واما
ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله وكلامه معه بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى
الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحي الله الى جبريل وجبريل الى محمد
الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى اليه بلا واسطة ونحوه
عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في الاسراء وحكي عن
الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره آخرون وذكر النقاش



النقاش عن ابن عباس في قصة الاسراء عنه عليه السلام في قوله دنا
فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام ربي وهو
يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث انس في الاسراء
نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فقالوا هي
ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبارسال الملائكة كحال
الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم
يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما
يلقيه في قلب النبي دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي في حديث
الاسراء ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية
فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي
انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل
هذين الحديثين بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول فصل من الباب بعده وكلام الله
لمحمد ومن اختصه من انبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع بمنعه
فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى كائن حق مقطوع به نص على
ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في
الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا فوق هذا كله حتى بلغ مستوى
وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من
خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات فصل واما ما ورد
في حديث الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى فكان
قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد

وجبريل عليهما السلام او مختص باحدهما من الآخر او من السدرة المنتهى
قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب
وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن
عباس هو الرب دنا من محمد فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن
الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه
ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر
تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه
قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي وعن انس في
الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان
منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلوة وذكر
حديث الاسراء وعن محمد بن كعب هو محمد دنا من ربه فكان قاب قوسين
قال وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر
بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت
الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما اودع قلبه
من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك
والارتياب قال القاضي ابو الفضل رضه اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو و
القرب هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرناه
عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي من ربه وقربه منه ابانة
عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته
ومن الله تعالى له مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه ما يتاول في قوله
ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان



واحسان قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا
بنفسه من الحق تدلى بعدا اعني عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله
قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله لا الى جبريل على هذا كان عبارة
عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من
محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار
التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله له ويتاول فيه ما يتاول في قوله من تقرب
مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة
والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المامول فصل في ذكر تفضيله في القيمة
بخصوص الكرامة نا القاضي ابو علي نا ابو الفضل وابو الحسين نا ابو يعلى نا السنجي نا ابن
محبوب نا الترمذي نا الحسين بن يزيد الكوفي نا عبد السلام بن حرب عن
ليث عن الربيع بن انس عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا
لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع
بن انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم
اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم
اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربه ولا فخر ويطوف علي
الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم
بيمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة وبيدي لواء
الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق
عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم

يوم القيامة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن
عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع
ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلها معي فقراء المؤمنين
ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع
في الجنة واكثر الناس تبعا وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد
الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين وذكر حديث
الشفاعة وعن ابي هريرة انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء
اجرا يوم القيامة وفي حديث آخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم
يوم القيامة ثم قال انهما في امتي يوم القيامة اما ابراهيم فيقول انت دعوتي وذريتي
فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان
عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به قوله انا سيد الناس يوم القيامة
هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة ولكن اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسؤدد
والشفاعة دون غيره اذ لجا الناس اليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد
الذي يلجا الناس اليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد
في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى
في الدنيا والآخرة لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا و
كذلك لجا الى محمد جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرى دون دعوى
وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح
فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن
عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه
سواء وماؤه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السما



السما من شرب منه لم يظما ابدا وعن ابي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان
الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احد ميزابيه من ذهب
والآخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء
وقال انس ايلة وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث
الحوض ايضا انس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب
الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن
ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو سعيد
الخدري وعبد الله بن الصنابحي وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة واسماء
بنتا ابي بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم فصل في تفضيله بالمحبة والخلة جاءت
بذلك الآثار الصحيحة واختص على السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا ابو القاسم
بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد نا ابو الهيثم ونا حسين بن محمد الحافظ
سماعا عليه نا القاضي ابو الوليد نا عبد بن احمد نا ابو الهيثم نا ابو عبد الله محمد بن
يوسف نا محمد بن اسمعيل نا عبد الله بن محمد نا ابو عامر نا فليح نا ابو النضر عن بسر بن
سعيد عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا
غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث آخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله
بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم
يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا وقال
آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه و
قال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان
الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح

وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر
وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع
ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء
المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة
من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب
في التورية انت حبيب الرحمن قال القاضي ابو الفضل رضه اختلف
في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه
اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد وقال
بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمي ابرهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي
فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع
مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابرهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه
بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى في النار فقال
الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة
التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها
الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى في كتابه بقوله
وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم
فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من البنوة لان
البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابرهيم ومحمد عليهما السلام
بالخلة بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عن من دونه و
الاضراب عن الوسائط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما

قال الشمني انه وقع هكذا في النسخ المعتمدة من الشفا
بهمزة مفتوحة وسين مهملة ساكنة وربما الهمزة
وقال الدلجي ان بعد السين تاء مثناة فوقية
وعبره بانه غير الشمني بقوله بعد السين جيم
اي عدة خطية فلم يعينها فكونها هي هكذا الى نسخة
المصنف المتقنة المروية عنه وصححها
[illegible]



لهما وحقق الطافه عندهما وما حالت بواطنهما من اسرار الاغيبة ومكنون
غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخالجهما لهما
حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى
قوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام
واختلف العلماء ارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة
فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص
ابرهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله
عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة
عليها السلام وابنيها واسامة وغيرهما واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان
درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل ابرهيم واصل المحبة الميل الى ما
يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة
المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته
وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها
كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث
فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي
ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض
عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضه عنها
كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة
بقوله ٭ قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا ٭ فاذا ما نطقت
كنت حديثي واذا ما سكت كنت الغليلا ٭ فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة
حاصلة لنبينا عليه السلام بها دلت الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة

بالقبول من الأمة وكفى بقوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله الآية حكى أهل التفسير
أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار إنما يريد محمد أن نتخذه حنانًا كما اتخذت النصا رى
عيسى فأنزل الله غيظًا ورغمًا على مقالتهم هذه الآية قل أطيعوا الله والرسول فزاده
شرفًا بأمرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فإن الله
لا يحب الكافرين وقد نقل الكلام أبو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلامًا
في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة إشارته إلى تفضيل مقام المحبة
على الخلة ونحن نذكر منه طرفًا يهتدى إلى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل
بالواسطة من قوله وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض والحبيب
يصل لحبيبه به من قوله فكان قاب قوسين أو أدنى وقيل الخليل الذي تكون
مغفرته في حد الطمع من قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي
مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم الآية والخليل قال ولا تخزني
والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل
قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا أيها النبي حسبك الله والخليل قال
واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك أعطي بلا سؤال
والخليل قال واجنبني وبني أن نعبد الأصنام والحبيب قيل له إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد صاحب هذا المقال من
تفضيل المقامات والأحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا

فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود وقال الله تعالى عسى أن يبعثك ربك
مقامًا محمودًا أخبرنا الشيخ أبو علي الغساني حدثنا الجياني مما كتبه إلي بخطه نا
سراج بن عبد الله القاضي نا أبو محمد الأصيلي نا أبو زيد وأبو أحمد قالا نا محمد بن يوسف
قال نا محمد بن إسماعيل قال نا إسماعيل بن أبان نا أبو الأحوص عن آدم بن علي قال



قال سمعت ابن عمر يقول إن الناس يصيرون يوم القيامة جثًا كل أمة تتبع نبيها
يقولون يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن أبي هريرة سئل عنها رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعني قوله عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا فقال هي الشفاعة
وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا
وأمتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن
أقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ
بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود عنه عليه السلام
أنه قيامه عن يمين العرش مقامًا لا يقومه غيره يغبطه فيه الأولون والآخرون
ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه وعن ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذاك
يوم ينزل الله تبارك وتعالى الحديث وعن أبي موسى عنه عليه السلام خيرت
بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم
أترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن أبي هريرة قلت يا رسول الله
ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصًا
يصدق لسانه قلبه وعن أم حبيبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت
ما تلقى أمتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للأمم
قبلهم فسألت الله أن يوليني شفاعة يوم القيامة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله
الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا
سكوتًا لا تكلم نفس إلا بإذنه فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك والخير
في يديك والشر ليس إليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك ولك

وانك لا تخفى ولا تخفى منك لا اله الا انت تباركت وتعاليت سبحانك
رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله وقال ابن عباس اذا
دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فيبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة
من النار فيقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم
ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسألون آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم
فكل يعتذر حتى يأتوا محمداً فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود
ايضاً ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن
عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال
فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث
الشفاعة في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده
وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال
يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا
الى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة وتدنو الشمس
فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع
لكم فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده
ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء
اشفع لنا الى ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب
اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت
نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحاً فيقولون انت اول
الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبداً شكوراً الا ترى ما نحن فيه الا ترى
ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب



لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية انس
ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد
كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فانه
خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض صح
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضباً
فذكر مثله ويذكر ثلث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى
فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجياً قال
فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب قتل النفس نفسي
نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن
عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فأوتى فأقول انا لها فانطلق
فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجداً وفي رواية فآتي
تحت العرش فأخر ساجداً وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد
لا اقدر عليها الآن يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن
الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على احد قبلي قال في رواية ابي هريرة فيقال لي يا محمد
ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول يا رب امتي امتي فيقول
ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم
شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية انس هذا
الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجداً فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع
واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه
مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع
الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل

قال فافعل ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى
ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي
ارفع راسك وقل تسمع واشفع تشفع واسأل تعطه فاقول يا رب
ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي
وعظمتي وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة
عنه قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا
من حبسه القرآن اي وجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد
وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الامانة والرحم فيقومان جنبتي
الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط
فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم
على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا
الحديث وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس عليه السلام ٢
يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي
ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب
عجل حسابهم فيدعا بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل
الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار
حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة
ومن طريق زياد النميري عن انس ان رسول الله صلى الله قال انا اول من تنشق
الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد
يوم القيمة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر فاتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال
من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو



نحو ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن
يوم القيمة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الآثار
ان شفاعته عليه السلام ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى آخرها من حين
يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه
وذلك قبل الحساب فيشفع ح لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط
ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث
اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث
ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الاحاديث
الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث
المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة
قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم
لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن
حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاءوه
يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة
في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان اؤخر
دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة
فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس
مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة
مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سأل لامته اشياء من
امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة
وخاتمة المحن وعظيم السؤل والرغبة جزاه الله احسن ما جزى نبيا عن امته وصلى

عليه وسلم كبرا افضل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة
والكوثر والفضيلة حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه
ابو الوليد هشام بن احمد بقراءتي عليهما قالا نا ابو علي الغساني نا النمري نا
ابن عبد المؤمن نا ابو بكر التمار نا ابو داود نا محمد بن سلمة نا ابن وهب عن
ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن
بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاصي انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة
صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا
ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل الله لي الوسيلة
حلت عليه الشفاعة وفي حديث آخر عن ابي هريرة الوسيلة اعلا درجة في
الجنة وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة
اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي
اعطاكه الله تعالى ثم ضرب بيده الى طينته فاستخرج مسكا وعن عايشة وعبد الله
بن عمر مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من
الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتي
وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا قال
الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من
الخير الذي اعطاه وعن حذيفة فيما ذكر عليه السلام عن ربه اعطاني الكوثر
نهر من الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس في قوله ولسوف يعطيك ربك
فترضى قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية
اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم فصل فان قلت اذا تقرر من



دليل القرآن وصحيح الاثر واجماع الامة كونه اكرم البشر وافضل الانبياء فما
معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الاسدي
قال نا السمرقندي نا الفارسي نا الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم نا ابن مثنى نا
محمد بن جعفر نا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم
صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي
لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة قال يعني
رسول الله ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي هريرة في اليهودي الذي قال والذي
اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر
الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وعن ابي هريرة من قال
انا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير
من يونس بن متى وفي حديثه الآخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم
فاعلم ان للعلماء في هذه الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان
يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم
فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما
هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق
التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث ان لا يفضل
بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام
اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط
من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون فظن ان لن نقدر
عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده اذ ذهب مغاضبا حطيطة بذلك الوجه الرابع

منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها على حد واحد اذ هي
شيء واحد لا تتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات
والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر
زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولوا عزم من الرسل ومنهم من رفع
مكانا عليا ومن اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم
من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض الآية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال بعض اهل العلم
والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون آياته ومعجزاته
ابهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته
راجع الى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء
الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم
موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفا نه
وحط من رتبته وتوهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته وقد
يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى القائل نفسه
اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لا جل
ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها
حبة خردلة ولا ادنى وسنزيد في القسم الآخر في هذا ابيانا ان شاء الله
فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض فصل في اسمائه عليه السلام
وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه قال نا ابو عمر الحافظ نا
سعيد بن نصر نا قاسم بن اصبغ نا محمد بن وضاح نا يحيى نا مالك عن ابن شهاب

٥٨

شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا
الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله في كتابه
محمدا واحمد فمن خصائصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه وطوى اثناءه
ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مبالغة
من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر
الناس حمدا فهو احمد المحمودين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد و
يشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده
يحمده فيه الاولون والآخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما
قال عليه السلام ما لم يعط غيره وسمى امته في كتب انبيائه بالحمادين
فحقيق ان يسمى محمدا او احمد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدا يع
اياته فن آخر هو ان الله جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي
اتى في الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره
ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك
محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه السلام
وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم
بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالته وهم محمد بن
احيحة بن الجلاح الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد
بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي
لا سابع لهم ويقال اول من سمي محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن
اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له

او يظهر عليه سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم
ولم ينازع فيهما واما قوله وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث
ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد
انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره
على الدين كله وقوله وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي اي على زماني وعهدي
اي ليس بعدي نبي كما قال خاتم النبيين وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء
وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال لتكونوا شهداء على الناس و
يكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب
المتقدمة وعند اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روي عنه عليه السلام
لي عشرة اسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه
يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر
غيره لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة
ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفي قفيت النبيين وانا قيم والقيم
الجامع الكامل كذا وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكر ناه
بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود
عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه
وروى النقاش عنه عليه السلام لي في القرآن سبعة اسماء محمد واحمد ويس وطه
والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان عليه السلام
يسمي لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة
ويروى المرحمة والرحمة وكل صحيح ان شاء الله ومعنى المقفي معنى العاقب واما
نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة

للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط
مستقيم وبالمؤمنين رؤوف رحيم وقد قال في صفة امته انها امة مرحومة و
قال تعالى وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه السلام
ربه رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل امته امة
مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها عليه السلام بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله
يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض
يرحمكم من في السماء واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال
والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث ابي
موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه عليه السلام
انه قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا
اسم هو في اهل بيته عليه السلام معلوم وقد جاءت من القابه عليه السلام وسماته
في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير
والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤوف
الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى
والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله في اوصاف
كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث
رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم و
الحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر و
المهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم وسيد المرسلين وامام
المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود
والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة و

صاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب
وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة
والنعلين ومن اسمائه في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح
الحق وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين
الحق والباطل ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب
وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم الذي ختم
الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح
والمنحمنا واسمه ايضا في التورية احيد روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى
صاحب القضيب اي السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من
حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان
يمسكه عليه السلام وهو الآن عند الخلفاء واما الهراوة التي وصف بها فهي في
اللغة العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس
عنه بعصاي لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم
تيجان العرب واوصافه والقابه وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع
ان شاء الله تعالى فصل في تشريف الله له بما سماه من اسمائه الحسنى ووصفه به من
صفاته العلى قال القاضي ابو الفضل وفقه الله ما احرى هذا الفصل بفصول الباب
الاول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر
للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض
في الفصل الذي قبله فرأينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى خص
كثيرا من انبيائه بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسميته اسحاق واسمعيل بعليم
وحليم وابراهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف

ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل بصادق الوعد كما نطق
بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم
بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع
لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق
اسمين ولا من تفرغ فيها لتأليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو
ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة
ما لم يظهره لنا الآن ويفتح غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد
نفسه وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات
وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في
زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا
حسان بقوله وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ومن
اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك
فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه الحق المبين ومعنى الحق الموجود و
المحقق امره وكذلك المبين اي البين امره والاهيته بان وابان بمعنى
ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل اني انا النذير
المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد
وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بالمعنى الاول
والمبين البين امره ورسالته والمبين عن الله ما بعثه به كما قال لتبين
للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور اي خالقه او
منور السموات والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا

فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه
وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين
والعارفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على
عباده يوم القيامة وسماه شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا
وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول ومن اسمائه تعالى الكريم
ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى
الاكرم وسماه تعالى كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل
وقال عليه السلام انا اكرم ولد آدم ومعاني الاسم صحيحة في حقه عليه السلام
ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذي كل شيء دونه وقال في
النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر من التوراة عن
اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى
الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر وسمي
النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك
فان ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله
عليه وسلم اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته
على البشر وعظيم خطره ونفى عنه تعالى في القرآن جبرية التكبر التي لا تليق به فقال
وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم
بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال تعالى الرحمن فاسأل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء
المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي عليه السلام
وقال غيره بل السائل النبي والمسؤول الله فالنبي خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه
عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن

فقيل



له في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده
او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم
لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي
ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى
نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية
الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه من قول الله تعالى
وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه
وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى
الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان
بالله او الناصر للحق او المبتدئ بهداية الامة او المبدأ المقدم في الانبياء والخاتم
لهم كما قال عليه السلام كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث ومن
اسمائه تعالى في الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على
المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا
شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون
عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في
الزيادة من ذلك لقوله لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه تعالى العليم العلام
وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه
فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والآخر ومعناهما السابق
للاشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا آخر وقال
عليه السلام كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث وفي هذا قوله

تعالى

واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم
وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله نحن الاخرون السابقون
وقوله انا اول من تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع
واول مشفع وهو خاتم النبيين آخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى
القوي وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله بذلك فقال ذي
قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق وفي
الحديث المأثور وورد في الحديث ايضا اسمه عليه السلام بالصادق المصدق
ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى انما وليكم الله
ورسوله وقال عليه السلام انا ولي كل مؤمن وقال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين
وقال عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه
الصفوح وقد وصف الله بهذا نبيه في القرآن والتوراة وامره بالعفو فقال
خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال لجبريل وقد ساله عن قوله خذ
العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل في الحديث المشهور
في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى
توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله
يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل
من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
له وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى
مختص بالمعنى الاول قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى
الدلالة ينطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن وهما بمعنى واحد فمعنى
المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده



لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد لنفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا
من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين
مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء امين
انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد
والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله
امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام يعرف بالامين وشهر به
قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله ثم احتوى بيتك
المهيمن من خندف علياء تحتها النطق قيل المراد بها المهيمن قاله القتيبي
والامام ابو القاسم القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي
يصدق وقال انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى القدوس
ومعناه المنزه عن النقائص المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس لانه
يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح القدس ووقع في
كتب الانبياء في اسمائه عليه السلام المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر او الذي يتطهر به من الذنوب
ويتنزه باتباعه عنها كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او
يكون مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ومن
اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى
ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه
بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله
يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل
طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه

ويس وقد ذكر بعضهم أيضاً أنها من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
فصل قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وها أنا أذكر نكتة أذيل بها هذا الفصل وأختم
بها هذا القسم وأزيح الإشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه
من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو أن يعتقد أن الله جل اسمه
في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه وعلي صفاته لا يشبه شيئاً من مخلوقاته
ولا يشبه به وأن ما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في
المعنى الحقيقي إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما أن ذاته تعالى لا تشبه
الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين إذ صفاتهم لا تنفك عن الأعراض ص
والأغراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته وأسمائه وكفى في هذا قوله
ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد إثبات ذات
غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله
بياناً وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته
صفة إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة
حديثة كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب أهل
الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله قوله
هذا لتزيده بياناً فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته
ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب
أنس أو دفع نقص حصل ولا بخواطر وأغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل
الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه بأوهامكم أو أدركتموه
بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الإمام أبو المعالي الجويني من اطمأن إلى موجود انتهى
إليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن إلى النفي المحض فهو معطل وإن قطع بموجود



بموجود واعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما أحسن قول ذي النون
المصري حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله في الأشياء بلا علاج وصنعه
لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلاف
ذلك وهذا الكلام عجيب نفيس محقق والفصل الآخر تفسير لقوله ليس كمثله شيء والثاني
تفسير لقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والثالث تفسير لقوله إنما قولنا
لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ثبتنا الله وإياك على التوحيد والا ثبات
والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته
الباب الرابع فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص
والكرامات قال القاضي أبو الفضل حسب المتأمل أن يحقق أن كتابنا هذا لم نجمعه
لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج إلى نصب البراهين عليها وتحصين
حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن إليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده و
فساد قول من أبطل نسخ الشرائع ورده بل ألفناه لأهل ملته الملبين
لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تأكيداً في محبتهم له ومنماة لأعمالهم وليزدادوا
إيماناً مع إيمانهم ونيتنا أن نثبت في هذا الباب أمهات معجزاته ومشاهير
آياته لتدل على عظيم قدره عند ربه وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد وأكثره
مما بلغ القطع أو كاد وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الأئمة وإذا
تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة
عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة
نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به فروينا عن
الترمذي وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم أن عبد الله بن سلام قال لما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر إليه فلما استبنت وجهه

عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله
قال نا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي
السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي نا محمد بن بشار نا عبد الوهاب الثقفي ومحمد
بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن
زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله وروى
مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده
ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك هؤلاء
فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل
منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل
معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ
بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة
فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم
فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله اليكم يامركم ان تاكلوا من
هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندي والله لقد دلني
على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول آخذ به ولا ينهى عن شيء الا
كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود
واشهد انه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته



وان لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت
بديهته تنبيك بالخبر وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة
وبعده في معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة فصل اعلم ان الله
جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه
وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته
في بعض الانبياء وذكره بعض اهل التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون
تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء
مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت
الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان
المعجزة مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه
وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض
فمن اراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات ائمتنا رحمهم الله فالنبوة في
لغة من همز ماخوذة من النبا وهو الخبر وقد لا تهمز على هذا التاويل تسهيلا
والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبا فعيل
بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله عليه فعيل
بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه
ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه
مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل في اللغة الا
نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع
ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا اتبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكريره

التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى
او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما الارسال قال ولا يكون
النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا
في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة لمعرفة
ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار
والاعلام كما قلنا وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا
واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من رسول الى امة
او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا
ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح الذي عليه
الجماء الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل آدم واخرهم
محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي ذر عنه ان الانبياء مائة الف واربعة
وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر اولهم آدم فقد بان
لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات
خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله
الاسراع فلما كان النبي يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع
الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه
ووحي الحاجب واللحظ لسرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا
بكرة وعشيا اي اومأ ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي السرعة
وقيل اصل الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله وان
الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله

قوله واوحينا الى ام موسى اي القي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة فصل اعلم ان
معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان
بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله
دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على
راي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان
بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء
من الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فيكون ذلك
على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان ياتي بمثله تعجيز له واعلم ان
المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين
صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم آية واظهرهم
برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن
لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي قد تحدى بسورة منه
فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل آية او آيات
منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى
عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل
الينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي به وظهوره من قبله واستدلاله
بحجته وان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد في الدنيا وانما جاء
اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة
ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض ائمتنا ويجري هذا
المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه عليه السلام آيات وخوارق عادات

ان لم يبلغ واحد منها مبلغ القطع فيبلغ جميعها فلا مرية في جريان معانيها
على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجائب وانما خلاف المعاند
في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله
صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا ضرورة لاتفاق معانيها
كما نعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة
عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب
العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين
نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة
السير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به
الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا
جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي ابو
الفضل وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه عليه السلام
معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا
يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا
يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع
يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه
وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن
الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة
متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في موطن اجتماع ع
الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك
وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة



الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار عما ذكر عنهم انهم رأوه كما رآه
فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل
والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه
منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها
من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما
هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال
الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول
الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من
الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة واعلام نبينا هذه الواردة من طريق
الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن
العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الا
قوة وقبولا ولا للطاعن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب
وانباؤه بما يكون وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء
عليه وقد قال من ائمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهم الله وما عندي
اوجب قول القائل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة
مطالعته للاخبار وروايته وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق
النقل وطالع الحديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي
ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فان اكثر
الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامارة
والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم
الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب

قراءة ام القرآن في الصلوة للمنفرد والامام واجزاء النية في اول ليلة من
رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية لكل ليلة والاقتصار
في المسح على بعض الرأس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره و
ايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة رضي الله عنه
يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا رووا اقوالهم لا يعلم
شيئا من مذاهبهم فضلا عن ما سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام
فيها بيانا ان شاء الله تعالى **فصل** في اعجاز القرآن **اعلم** وفقنا الله واياك
ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط
انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه
ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشأن
وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا
من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب
جعل الله ذلك لهم طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة
بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب
ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون
ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط
اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون
الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص
كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام
الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ
الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة



الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة
والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام
طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا
من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير والمهين
وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم
والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته
العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت
حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان
جوامعه وبدائعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار
لفظه وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا واكثر في
السجع والشعر سجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها
يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا
لهم بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملأ اجمعين ام يقولون افتراه قل
فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وان
كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا
وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن الآية وقل
فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفترى اسهل ووضع الباطل و
المختلق على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا
قيل فلان يكتب كما يقال وفلان يكتب كما يريد وللاول على الثاني فضل
وبينهما شأو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم اشد التقريع ويوبخهم

غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم
وآباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن
معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغراء
بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير
الاولين والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا
اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم
الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة
كشف الله عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف
على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه
مدبرين واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة
من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية قال والله
ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول
هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال
سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا
فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب
كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره
فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من
اسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على
عيسى بن مريم من احوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه الآية وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك



الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام
موسى ان ارضعيه الآية فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين
وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على
التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم
انه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب
عن الاتيان بمثله معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم
ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم
ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته
اذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت
واخذوا من مكان قريب وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي
وقوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه الآية واشباهها من الآي بل اكثر القرآن حققت
ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف
حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما
زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في
المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي
يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله
من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة
يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة
ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن
وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها فصل

الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف
لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت
مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير
له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت
دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او
سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة
وقرأ عليه القرآن رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد
اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي
خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب
ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال
والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون
ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا
الشعر كله رجزه وقريضه وهزجه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا
فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول
قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب
القول انه ساحر فان سحره يفرق بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه
والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله في الوليد
ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن
يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد
سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال
النضر بن الحرث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا



انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر
شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر
بخبر النبي قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر
لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم
يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون
والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز و
البلاغة بذاتها او الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على
التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها
مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب
بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واستدل
على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا
كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب
هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف اهل السنة ائمة السلف في
وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه و
حسن نظمه وايجازه وبديع تأليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور
البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى
وقلب العصا وتسبيح الحصى وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل
مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله
هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت
واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان يأتوا
بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء البشر مثلهم

بشي ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية واقمع دلالة وعلى كل حال فما
اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلا والقتل وتجرعوا كاسات
الصغار والذل وكانوا من شموخ الآنف واباية الضيم بحيث لا يؤثرون
ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم
والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم
وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا
من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفا ظهوره واطفا نوره فما
جلوا في ذلك خبية من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم
مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا
ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه **فصل** الوجه الثالث من
الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد
على الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله آمنين **وقوله**
وهم من بعد غلبهم سيغلبون **وقوله** ليظهره على الدين كله **وقوله** وعد الله الذين
امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية **وقوله** اذا جا نصر الله والفتح
الى اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل
الناس في الاسلام افواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها
موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المومنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم
اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لي الارض
فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها **وقوله** انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل
محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم






وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على اطفا شي من نوره ولا
تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه
**قوله** سيهزم الجمع ويولون الدبر **وقوله** قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية **وقوله**
هو الذي ارسل رسوله بالهدى الآية **وقوله** لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم كم
الآية فكان كل ذلك **وما** فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم
وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله
بما نقول **وقوله** يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الآية **وقوله** من الذين
هادوا سماعون للكذب **وقوله** من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه
الى قوله في الدين **وقد** قال مبديا ما قدره الله واعتقده المومنون يوم بدر
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون
لكم **ومنه** قوله انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس
عنه ويؤذونه فهلكوا **وقوله** والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة
من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة **فصل** الوجه الرابع
ما انباه به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان
لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع
عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه وياتي به على نصه فيعترف
العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم
امي لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل
حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسالونه صلى الله عليه وسلم
عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبيا مع قومهم

المثافنة [illegible] من الثفنة وهو ما [illegible] على الارض [illegible] المجالسة [illegible]

وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان
وابنه واشباه ذلك من الانباء وبدء الخلق وما في التوراة والانجيل
والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على
تكذيبه بما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق من خبره ومن
شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على
شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم
وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنيتهم
اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه
لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين
واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم
من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله وكذلك
مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القرآن
فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم
صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسدهم اياه كاهل
نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك
بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي الى
اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وبخ
الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف
بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم
اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب



الكتاب ويعفو عن كثير الآيتين فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة
لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت
بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك
كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية قال
ابو اسحاق الزجاج في هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة
لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص
بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله
وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا
ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد
الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله
بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان
يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة
نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه
الآية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم
قال لهم قد علمتم انه نبي والله ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم و
مثل قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون فكان كما كان وهذه الآية ادخل
في باب الاخبار عن الغيب لكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها فصل ومنها
الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتري
بهم تاليه عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا

يستثقلون سماعه ويزيدهم نفوراً كما قال تعالى ويودون انقطاعه
لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب على
من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته
توليه انجذاباً وتكسبه هشاشة لميل قلبه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال
لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري
من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف فقف
يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة
قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر
حكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في
المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون
الى قوله المسيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الاسلام
في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف
قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك
عتبة بيده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي
رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف
ظهره معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام
عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم
وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول
له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة
كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر

فمر بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع فمحا ما عمل وقال اشهد
ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته
وكان يحيى بن حكم الغزال البليغ الاندلسي في زمنه فحكي انه رام شيئاً
من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على
منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والانابة فصل
ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا
مع تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الانبياء
انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة
آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس
وثلاثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة
والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة البلاغة
وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد
فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته
ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند
شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص على
عقبيه فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة في اعجازه وجوهاً
كثيرة منها ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة
وترديده يوجب له محبة لا يزال غضاً طرياً وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن
والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في
الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك

حتى احدث اصحابها الحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم
على قراتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القران بانه لا يخلق
على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجايبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع
منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته
الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد ومنها جمعه
لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة
بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب
من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرايع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد
على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام
المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله اوليس الذي
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذي انشاها
اول مرة ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم
والمواعظ والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن الآداب والشيم قال الله تعالى جل اسمه
ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد
صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل وقال عليه السلام ان الله انزل هذا
القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان
قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجايبه هو الحق
ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم
به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ومن طلب
الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور
المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك



به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي
عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف
ولا يتشان فيه نبأ الاولين والآخرين وفي الحديث قال الله لمحمد عليه السلام
اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا
فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فانه فهم
العقول ونور الحكمة وقال تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر
الذي هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى الآية فجمع فيه مع وجازة
الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات
ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القران وحسن وصفه
وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي
له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها ان
جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم اسهل
على النفوس واوعى للقلوب واسمع في الآذان واحلى على الافهام فالناس
اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على
متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر وساير الامم لا يحفظ كتبها
الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان
في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ايتلاف انواعها
والتيام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على
اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على امر ونهي وخبر واستخبار
ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب الى غير
ذلك من فوايده دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره

مثل هذا أضعف قوته ولانت جزالته وقلّ رونقه وتقلقلت ألفاظه
فتأمّل أوّل ص وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم
بإهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد وتعجبهم مما أتى به
والخبر عن اجتماع ملإهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم
وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك
الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم
وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء كل
هذا في أوجز كلام وأحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها
الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز القرآن إلى
وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها إذ أكثرها داخل في باب بلاغته فلا
يجب أن يعد فنا منفردا في إعجازه في باب تفصيل فنون البلاغة وكذ لك
كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا إعجازه وحقيقة
الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن
وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق **فصل** في انشقاق القمر وحبس الشمس
قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته
وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه **أخبرنا** الحسين بن محمد الحافظ
من كتابه **نا** القاضي سراج بن عبد الله **نا** الأصيلي **نا** المروزي **نا** الفربري **نا**
البخاري **نا** مسدد **نا** يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم
عن أبي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم اشهدوا **وفي** رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم
**وفي** بعض طرق الأعمش بمنى **ورواه** أيضا عن ابن مسعود الأسود
وقال حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر **ورواه** عنه مسروق أنه كان بمكة
وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل منهم إن محمدا
إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها فاسألوا من يأتيكم
من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك
**وحكى** السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال أبو جهل هذا سحر فابعثوا إلى
أهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا ذلك أم لا فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقا
فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر **ورواه** أيضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء
أربعة عن عبد الله **و**قد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم
أنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية
أبي حذيفة الأرحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن أنس سأل
أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مر تين
حتى رأوا حراء بينهما **رواه** عن أنس قتادة **وفي** رواية معمر وغيره عن قتادة
عنه أراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة **ورواه** عن جبير
بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد **ورواه** عن ابن عباس عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة **ورواه** عن ابن عمر مجاهد **ورواه** عن حذيفة أبو عبد الرحمن
السلمي ومسلم بن أبي عمران الأزدي وأكثر طرق هذه الأحاديث صحيحة
والآية مصرحة ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم يخف على
أهل الأرض إذ هو شيء ظاهر لجميعهم إذ لم ينقل لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوا
تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل إلينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على

الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد
يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من
مقابلتهم من اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا
نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية
وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت
ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون وايجاف الابواب وقطع
التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل
به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر
وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام
تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها **وخرج** الطحاوي في مشكل
الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء
فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض
وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات
**وحكى** الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن
حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة **وروى** يونس بن بكير في زيادة
المغازي روايته عن ابن اسحاق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر
قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما
كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجيء فدعا رسول



رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس
**فصل** في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته اما الاحاديث في هذا فكثيرة
جدا روى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة
منهم انس وجابر وابن مسعود **نا** ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله
بقراءتي عليه **نا** القاضي عيسى بن سهل **نا** ابو القاسم حاتم بن محمد **نا** ابو عمر بن الفخار **نا**
ابو عيسى **نا** يحيى **نا** مالك عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلوة العصر فالتمس الناس
الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه
قال فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم
**ورواه** ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر
قال كم كنتم قال زهاء ثلثمائة **وفي** رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق
**ورواه** ايضا حميد وثابت والحسن عن انس **وفي** رواية حميد قلت كم كانوا
قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه **وعنه** ايضا وهم نحو من سبعين رجلا
واما ابن مسعود ففي الصحيح من رواية علقمة عنه بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل
ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع
رسول الله صلى الله عليه وسلم **وفي** الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر
عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه
ركوة فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا يا رسول الله ليس عندنا
ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء

يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة
الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى مثله عن انس عن جابر وفيه انه
كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم
الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر
ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتى به
النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة
الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط
يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرايت الماء
يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلات وامر
الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي ان النبي صلى
الله عليه وسلم في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا ماء يا رسول الله ما غير ها
فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون
ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل
هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا
اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت
على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له ولم
ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار
كتصديق جميعهم له فصل ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وابتعاثه
بمسه ودعوته فيما روى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة
تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا



فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله
عليه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث
ابن اسحاق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ
ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة
بن الاكوع وحديثهما اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروي
خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا فقال سلمة فاما دعا واما بصق
فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي غير هذه الروايتين في هذه القصة
من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب
ليس فيها ماء فروى الناس حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة وذكر ان الناس
شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا
بالميضأة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس
حتى رووا وملؤوا كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين و
سبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة
على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لاهل مؤتة
عند ما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله
عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضأة قال
والقوم زهاء ثلاث مائة وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة احفظ علي ميضأ ثك
فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين
حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجه
رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان

الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها فيها
وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما
وامر الناس فملأوا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملأوه قال عمران ويخيل الي انهما
لم يزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمراة من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي
فانا لم نرزأ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة
بن الاكوع قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها
نطفة فافرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفي
حديث عمر في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره
فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه
فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملأوا ما معهم من آنية ولم تجاوز
العسكر وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه
بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه
الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء
الاستسقاء وما جانسه فصل ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا
القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله نا العذري نا الرازي نا الجلودي نا ابن سفيان
نا مسلم بن الحجاج نا سلمة بن شبيب نا الحسن بن اعين نا معقل عن ابي الزبير
عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق
شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة
المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص
من شعير جاء بها انس تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء



الله ان يقول وحديث جابر في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق
الف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه
وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء
وايمن وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمهما قال وجيء
بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الاناء ويقول ما شاء
الله فاكل منه من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه
صلى الله عليه وسلم لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الاناء وحديث
ابي ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء
ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار
فدعاهم فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال
ادع سبعين فاكلوا حتى تركوا وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب
فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب اتي النبي صلى الله
عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد
آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة
فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له حزة
من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين
فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه
ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة اصابت
الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء

الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر
فجمعه على النطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي
في الجيش وعاء الا ملؤوه وبقي منه ومن ابي هريرة امرني النبي صلى الله عليه وسلم
ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا
ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع ومن علي
بن ابي طالب جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا
اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام
فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب
وقال انس ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان يدعو له قوما
سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد
من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم يتغدون
ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم احدا او اثنين وسبعين وفي
رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلاث مائة وانهم
اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين
رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي ان فاطمة طبخت قدرا لغدائها
ووجهت عليا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معها فامرها فغرفت منها لجميع
نسائه صحفة صحفة ثم له عليه السلام ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض
قالت فاكلنا منها الى ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب ان يزود اربع مائة
راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم
منه وكان قدره الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الاحمسي
ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن المزني الخبر بعينه الا انه

قال اربع مائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين ابيه بعد
موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين
كفاف دينهم فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها وجعلها بيادر
في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون
كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فتعجبوا من ذلك
وقال ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فاتني به فادخل يده فاخرج قبضة
فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك
حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا
تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد
حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية
في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة
حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه
وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب
منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم لي ان يسقيهم فجعلت
اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الآخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي
صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم
قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له
مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى
انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة

فلا تبيد عياله غطا غطا وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة
وجعل فضلها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثره لعياله فاكلوا وافضلوا
وذكر خبره الدولابي ومن حديث الآجري في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم
لعلي فاطمة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد
او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس
رفقة رفقة يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر
بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث انس تزوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور
فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا
وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم
كانوا زهاء ثلثمائة حتى ملأوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال
ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفعه فما ادري حين
وضعت كان اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة
في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم
اضعافهم من التابعين ثم من لا ينعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع
مشهودة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر فصل في
كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن غلبون
الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي
القاسم البغوي نا احمد بن عمران الاخنسي نا ابو حيان التيمي وكان صدوقا
عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه



منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال
وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ
الوادي فدعاها فاقبلت تخد الارض حتى قامت
بين يديه فاستشهدها ثلثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن
بريدة سأل اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول
الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها
فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول
الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك
فاستوت فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان
يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فأذن لي اقبل يديك
ورجليك فاذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا
بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت
معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك
حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا وفي رواية
اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها
فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله

صلى الله عليه وسلم مقبلاً والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على
ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا
يميناً وشمالاً وروى أسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكاناً لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة
قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يأمركن ان تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل
للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات
يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاماً خلفهن فلما
قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن فن
حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
في مسير وذكر نحواً من هذين الحديثين وذكر فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية
أشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة
أيضاً وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة
او سمرة جاءت فأطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انها استأذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود
آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن
ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي
يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه قال
القاضي ابو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة



مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس
وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين
اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك
انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلاً وهو وسن فاعترضته سدرة
فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي
هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم
وراه حزيناً اتحب ان اريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت
بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر
فيها جبريل قال اللهم ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه
صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه آية لا له وذكر ابن اسحاق ان النبي صلى
الله عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين
يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه عليه السلام شكا الى ربه من قومه وانهم
يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى اليه ان ائت وادي كذا
فيه شجرة فادع غصناً منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطاً حتى انتصب بين يديه
فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت ان لا مخافة
علي ونحو منه عن عمر وقال فيه ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن
ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال للاعرابي ارأيت ان دعوت هذا العذق
من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع
فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال حديث صحيح فصل في قصة حنين الجذع
ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر

نقز ينقز نقزاً ونقزاناً وثب [illegible]

خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد
الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو
سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى
هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا
على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها
فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس حتى
ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به وفي رواية المطلب حتى
تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر زاد غيره والذي نفسي
بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا حديث المطلب وسهل بن
سعد واسحاق عن انس وفي حديث ابي فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى
اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر
الاسفرايني ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض
فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم
ان شئت اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل
خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فياكل اولياء
من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في
الجنة فياكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء
فكان الحسن اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه رواه عن
جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو نضرة
وابن المسيب وسعيد بن ابي كريب وابو صالح ورواه عن انس بن
مالك الحسن وثابت واسحاق ابن ابي طلحة ورواه عن ابن عمر
نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الوداك عن ابي سعيد وعمار
بن ابي عمار عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل بن سعيد
وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي
عن ابيه قال القاضي ابو الفضل رضه فهذا حديث كما تراه خرجه اهل
الصحيح ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى
من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب
والله المثبت على الصواب فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا الفقيه
ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي نا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط نا المهلب
ابو القاسم نا ابو الحسن القابسي نا المروزي نا الفربري نا البخاري نا
محمد بن المثنى نا ابو احمد الزبيري نا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة
عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وفي غير هذه الرواية
عن ابن مسعود كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام و
نحن نسمع تسبيحه وقال انس اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى
فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم
صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر وذكر
انهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل الا قال له السلام

عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام اني لاعرف حجرا
بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود وعن عائشة لما استقبلني جبريل
بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله
وعن جابر بن عبد الله لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي
حديث العباس اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا
لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة الباب وحوائط
البيت آمين آمين وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه
جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وعن
انس صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم
فقال اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن ابي هريرة في
حراء زاد ومعه علي وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبي او صديق او شهيد
والخبر في حراء ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه انا منهم وزاد عبد
الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر
عشرة وزاد نفسه وقد روي انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول
الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حراء الي
يا رسول الله وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر وما قدروا الله
حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر
حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم
مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق
الباطل الآية فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع

وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها
ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في
ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم
حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله
رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا
خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل صلى الله عليه وسلم
وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء
اليه **فصل** في الآيات في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك ابو
الحسين الحافظ نا ابي نا القاضي يونس نا ابو الفضل الصقلي نا ثابت بن قاسم بن ثابت
عن ابيه وجده قالا نا ابو العلاء احمد بن عمران نا محمد بن فضيل نا يونس بن عمرو
نا مجاهد عن عائشة قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء وذهب وروي عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من
اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال ما هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى
لا آمنت بك او يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم
جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء
عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه
قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك
وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن
ابي سعيد الخدري بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي منه

فاقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي
العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب من
ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى
الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فـ
حدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث
عن ابي هريرة وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا
على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد
فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك
وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب
انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه
ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن
اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب
وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب القصة ايضا وسبب اسلامه
بمثل حديث ابي سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان
بن حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف ف
الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله با
لمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى
لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روى مثل هذا الخبر وانه جرى لابي
جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر
الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طائر سقط فقال يا عباس



عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر بن
عبد الله عن رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وهو على بعض حصون خيبر
وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها
فان الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة
حتى دخلت الى اهلها وعن انس دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا للانصار
وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن
احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا
فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله و
يعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد الحائط الا شد عليه
الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين
يديه فخطمه وقال ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن و
الانس ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله
عليه وسلم سألهم عن شأنه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفي رواية ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكا كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية انه
شكا الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد
روي في قصة العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها و
مبادرة العشب اليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها ونداءهم لها انك لمحمد وانها
لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرائني وروى ابن وهب ان
حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن
انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار

أمر الله شجرة فنبتت تجاه النبي فسترته وأمر حمامتين فوقفتا بفم الغار
وفي حديث آخر أن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى الطالبون له ورأوا
ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم
يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم
بدنات خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن إليه بأيتهن يبدأ
وعن أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله
قال ما حاجتك قالت صادني هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني
حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت نعم فأطلقها فذهبت و
رجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي وقال يا رسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه
الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا الله و
أنك رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذ وجهه إلى معاذ باليمن فلقي الأسد فعرفه أنه مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي
رواية عنه أن سفينة تكسرت به فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد فقلت أنا مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق وأخذ
عليه السلام بأذن شاة لقوم من عبد القيس بين إصبعيه ثم خلاها فصار لها
ميسماً وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن إبراهيم بن حماد بسنده
من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله
عليه وسلم يعفوراً وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب
برأسه ويستدعيهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعاً
وحزناً فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها

حبها

لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه وفي العنز التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عسكره وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء أربعمائة فحلبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأروى الجند ثم قال لرافع املكها وما أراك فربطها فوجدها
قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال لفرسه عليه السلام وقد قام إلى الصلاة
في بعض أسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما
حرك عضواً حتى صلى صلى الله عليه وسلم ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي أن النبي
صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله للملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فأصبح
كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه إليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد
جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الأئمة فصل في إحياء الموتى
وكلامهم وكلام الصبيان المراضع وشهادتهم له بالنبوة حدثنا أبو الوليد هشام
بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي أبو الوليد محمد بن رشد والقاضي أبو عبد الله محمد بن
عيسى التميمي وغير واحد سماعاً وإذناً قالوا نا أبو علي الحافظ نا أبو عمر الحافظ نا أبو زيد
عبد الرحمن بن يحيى نا أحمد بن سعيد نا ابن الأعرابي نا أبو داود نا وهب بن بقية
عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن يهودية أهدت
للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة فمات بشر بن البراء
وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت إن كنت نبياً لم يضرك الذي
صنعت وإن كنت ملكاً أرحت الناس منك قال فأمر بها فقتلت وقد روى
هذا الحديث أنس وفيه قالت أردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على
ذلك فقالوا نقتلها قال لا وكذلك عن أبي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض

عرض

ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها
وكذلك ذكر الخبر ابن اسحاق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الآخر
عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في وجعه الذي مات منه ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالان آوان
قطعت ابهري وحكى ابن اسحاق ان كان المسلمون ليرون ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال
ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية
التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة وانس
وجابر وروى الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال في آخره
فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر منا احدا قال
القاضي ابو الفضل وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة
وهو حديث مشهور واختلف ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو
كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة او الحجر او الشجر وحروف واصوات يحدثها
الله فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي
الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام
بعده وحكي هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم نجعل الحياة
شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها
فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد
كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في احالته
وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب
من يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصا والجذع

والجذع والذراع وقال ان الله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا
وآلة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم
بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية شيئا من ذلك
فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر والموفق الله وروى وكيع
رفعه عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم
قط فقال من انا فقال رسول الله وروي عن معرض بن معيقيب رايت من النبي
صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك
اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى
مبارك اليمامة وكانت القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن اتى رجل النبي
صلى الله عليه وسلم فذكر انه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه الى
الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك
وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت
لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس ان شابا من الانصار
توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت
اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على
كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه
فطعم وطعمنا وروي عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن
ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر
يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا
هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا في بعض

ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن
حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي
وخاتم النبيين وكان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق و
ذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته
ثم عاد ميتا كما كان فصل في ابراء المرضى وذوي العاهات اخبرنا ابو الحسن علي بن
مشرف فيما اجازنيه وقراته على غيره قال نا ابو اسحاق الحبال قال نا ابو محمد بن النحاس
نا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق قال نا
ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية احد بطولها قال
وقالوا قال سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني
السهم الذي لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيب يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان
حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه
وروي قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة
ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على اثر سهم في وجه ابي قتادة
في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن
حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري قال فانطلق
فتوضا ثم صل ركعتين ثم قال قل اللهم اني اسئلك واتوجه اليك بنبيك محمد
نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري اللهم شفعه
في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء
فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها
ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا

بفتح الحاء وسكون المثلثة ويقال
حثية بالياء ايضا وهو ملأ اليد او اليدين
وهو من التراب هنا
فتفطن له



سقفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فريك
ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله
عليه وسلم في عينيه فابصر فرايته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين ورمي
كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
فبرا وتفل على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر
وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم
خيبر فبريت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف الى الكعب حين قتل
ابن الاشرف فبريت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت
فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب فجعل يدعو
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك
الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب
ومن روايته ايضا ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونفث عليه حتى صح واتته امراة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم
فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرا
الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس جاءت امراة بابن
لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي وانكفات
القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرئ لحينه
وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان
الدابة فشكاها للنبي عليه السلام فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها

وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة
الحياء فقالت انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسئل
شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها القي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة
بالمدينة اشد حياء منها فصل في اجابة دعائه وهذا باب واسع جدا
واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على
الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي
بقراءتي عليه نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسي نا ابو زيد المروزي
نا محمد بن اسمعيل نا عبد الله بن ابي الاسود نا حرمي نا شعبة عن قتادة
عن انس قال قالت امي يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم
اكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته ومن رواية عكرمة قال انس فوالله
ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليتعادون اليوم على نحو المائة وفي
رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت
بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه لعبد
الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب
تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى
مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل
مائة الف وقيل بل صولحت احديهن لانه طلقها في مرضه على نيف وثمانين
الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة
اعتق يوما ثلثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت
عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها ودعا



لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن ابي وقاص
ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب له ودعا بعز الاسلام بعمر او
ابي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر
واصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت
سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا
اليه المطر فدعا فصحوا وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن
وفي رواية فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى
وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا لابن عباس اللهم فقهه
في الدين وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا لعبد الله بن
جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة
فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة بن ابي الجعد فقال فلقد كنت
اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال البخاري في حديثه فكان
لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة ايضا وندت له ناقة فدعا
فجاء بها اعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لام ابي هريرة فاسلمت ودعا لعلي
ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب
الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته ان لا يجيعها قالت فما
جعت بعد وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور
بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان
يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا حتى استعطفته
قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق ملكه
فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعا على

صبي فقطع على الصلوة ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل رآه يأكل بشماله
كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة
بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وحديثه
المشهور من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا
السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رايتهم
قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز
عند النبي صلى الله عليه وسلم اي لا فواه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج
الى ان مات ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم
ووري فلفظته مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة
جانب الوادي وجحده رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله
عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال
اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية برجلها اي
رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به فصل في كراماته وبركاته وانقلاب
الاعيان له فيما لمسه او باشره اخبرنا احمد بن محمد نا ابو ذر الهروي اجازة ونا
القاضي ابو علي سماعا والشيخ ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيره قالوا نا
ابو الوليد القاضي نا ابو ذر نا ابو محمد وابو اسحاق وابو الهيثم نا الفربري نا البخاري
نا يزيد بن زريع نا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك ان اهل المدينة
فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان
يقطف او به قطاف وقال غيره يبطأ فلما رجع قال وجدنا فرسك
بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد اعيا فنشط حتى كان
ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة
معه



معه وبركت عليها فلم يملك راسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا و
كانت شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا
الا رزق النصر وفي الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة
وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى
نستشفي بها وحدثنا القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم بن المامون قال
كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء
للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان
ليكسره على ركبته فصاح الناس فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات
قبل الحول وسكب من فضل وضوئه في بئر قبا فما نزفت بعد وبزق في بئر
كانت في دار انس فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسال
عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب
فطاب واتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى الحسن
والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام مالك
عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله عليه وسلم
الا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها بنوها يسالونها الادم
وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها و
كان يتفل في افواه الصبيان والمراضع فيجزيهم ريقه الى الليل ومن
ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة
ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام
عليه السلام وغرسها له بيده الا واحدة غرسها عمر فاخذت كلها الا تلك
الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت وفي كتاب البزار

فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب
بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي
عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول
الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت
آخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها
اذا ظمئت واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة
مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا
ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج
فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد
السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب
به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة
ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان
استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه
لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في
يده سيفا ومنه بركته في درور الشياه الحوايل باللبن الكثير كقصة
شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة
مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها
فحل وشاة المقداد ومن تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه
ودعا فيه فلما حضرتهم الصلوة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة
في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك



وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروي مثل هذه القصص
عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة
بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان
جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على راس
قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة وراسه ابيض
وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود
فكان يدعى الاغر وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه
آخر فما زال على وجهه نور ومسح قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق
حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده على راس حنظلة بن
حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة
قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم
ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه
امراة من الجمال ما بها ومسح على راس صبي به عاهة فبرا واستوى شعره وعلى
غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرؤوا واتاه رجل به ادرة فامره ان
ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرا وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله
عليه وسلم باحد به مس فصك في صدره الا ذهب المس والجنون ومج
في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة من تراب
يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا
يمسحون القذى عن اعينهم وشكا اليه ابو هريرة النسيان فامره ببسط ثوبه
وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى وعنه بعدها

ادرة بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وبالراء وهو انتفاخ في الخصيتين معروف

كثيرة فصل ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والأحاديث
في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته
المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق
معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري إجازة
وقرأته على غيره قال أبو بكر نا أبو علي التستري نا أبو عمر الهاشمي نا اللؤلؤي نا أبو داود
نا عثمان بن أبي شيبة نا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام
الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه
ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا
رآه عرفه ثم قال حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه والله ما ترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا
إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته وقال أبو ذر لقد تركنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما وقد خرج أهل الصحيح
والأئمة ما أعلم به أصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على أعدائه
وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الأمن حتى تظعن المرأة
من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله وأن المدينة ستغزى ويفتح خيبر على يدي علي
في غد يومه وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز
كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والأهواء وسلوك
سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وأنها
ستكون لهم أنماط ويغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى وتوضع بين يديه
صحفة وترفع أخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث

الحديث وأنتم اليوم خير منكم يومئذ وأنهم إذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس
والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر
والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى
لا قيصر بعده وذكر أن الروم ذات قرون إلى آخر الدهر وبذهاب الأمثل فالأمثل
من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال ويل
للعرب من شر قد اقترب وأنه زويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها و
سيبلغ ملك أمته ما زوي له منها فكذلك كان امتدت في المشارق والمغارب
ما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه
أمة من الأمم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله لا يزال أهل الغرب
ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني إلى أنهم العرب لأنهم المختصون
بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب إلى أنهم أهل المغرب وقد ورد المغرب كذا
في الحديث بمعناه وفي حديث آخر من رواية أبي أمامة لا تزال طائفة من أمتي
ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك قيل يا رسول
الله وأين هم قال ببيت المقدس وأخبر بملك بني أمية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ
بني أمية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم أضعاف
ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وأن
أشقاها الذي يخضب هذه من هذه أي لحيته من رأسه وأنه قسيم النار يدخل
أولياؤه الجنة وأعداؤه النار فكان فيمن عاداه الخوارج الناصبة وطائفة
ممن ينتسب إليه من الروافض كفروه وقال يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف
وأن الله عسى أن يلبسه قميصا وأنهم يريدون خلعه وأنه سيقطر دمه على قوله
فسيكفيكهم الله وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح

كلاب الحوأب على بعض أزواجه وأنه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت فنبحت
على عائشة عند خروجها إلى البصرة وأن عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب
معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال
في قزمان وقد أبلى مع المسلمين إنه من أهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم أبو هريرة
وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار فكان بعضهم يسأل عن بعض
فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال الخلافة
في قريش ولن يزال هذا الأمر في قريش ما أقاموا الدين وقال يكون في ثقيف
كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وأن مسيلمة يعقره الله وأن فاطمة
أول أهله لحوقا به وأنذر بالردة وبأن الخلافة بعده ثلاثون ثم تكون ملكا
فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي وقال إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون
رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الأمة
وأخبر بشأن أويس القرني وبأمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها وسيكون في
أمته ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة وفي حديث آخر ثلاثون دجالا كذابا
آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك أن يكثر
فيكم العجم يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس
بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد
ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون
ولا يوفون وقال لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه وقال هلاك أمتي على يدي
أغيلمة من قريش قال أبو هريرة راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان
وأخبر بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه الأمة أولها وقلة الأنصار
حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل أمرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وأنهم



وأنهم سيلقون بعده أثرة وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج الذي
فيهم وأن سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم رؤوس الناس والعراة
الحفاة يتباهون بالبنيان وأن تلد الأمة ربتها وأن قريشا والأحزاب
لا يغزونه أبدا وأنه هو يغزوهم وأخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت
المقدس وما وعد من سكنى البصرة وأنهم يغزون في البحر كالملوك على الأسرة
وأن الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس و
هاجت ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا إلى المدينة
وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد
قال أبو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدا يوم
اليمامة وأعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي
غل الشملة وحيث هي ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها
وبشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره
وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير إلى النبي صلى الله عليه وسلم
قاصدا لقتله وأطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر والسر أسلم
وأخبر بالمال الذي ترك عمه العباس عند أم الفضل بعد أن كتمه فقال ما
علمه غيري وغيرها فأسلم وأعلم بأنه سيقتل أبي بن خلف وفي عتبة بن أبي
لهب أنه يأكله كلب الله وعن مصارع أهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن
إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى
ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون وأخبر بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم
مسيرة شهر أو أزيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه وأخبر فيروز
إذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز الق

القصة اسلم واخبر ابا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائماً فقال
له كيف بك اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت
منه الحديث وبعيشه وحده وموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه
لحوقاً اطولهن يداً فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر بقتل
الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان ن
يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال في الذين كانوا
معه على حراء اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر
وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا لبست
سواري كسرى فلما اتي بهما لعمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى
والبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة
تجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامة
رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم
الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو
عسى ان يقوم مقاماً يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر
يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم
وقوى بصائرهم وقال لخالد حين وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر
فوجدت هذه الامور كلها في حياته وبعد موته كما قال عليه السلام
الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من اسرار
المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى ان كان بعضهم ليقول
لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء
واعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاقة



ومشاقة في جف طلع نخلة وانه القي في بئر ذروان فكان كما قال
ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشاً باكل الارضة ما في صحيفتهم التي
تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها ها
كما قال ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسراء
ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم
بوقت وصولها فكان كله كما قال الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم
تأت بعد ومنها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب
وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن اشراط
وآيات حلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار
وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديواناً مفرداً يشتمل على
اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية
واكثرها في الصحيح وعند الائمة فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته
من اذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك
فانك باعيننا وقال اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمداً اعداءه المشركين
وقيل غير هذا وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا
الآية اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه الحافظ ابو بكر
محمد بن عبد الله المعافري قالا نا ابو الحسين الصيرفي قال نا ابو يعلى البغدادي
نا ابو علي السنجي نا ابو العباس المروزي نا ابو عيسى الحافظ نا عبد بن حميد نا
مسلم بن ابراهيم نا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن
شقيق عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت
هذه الآية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

راسه من الغبة فقال لهم يا ايها الناس انفرقوا عني فقد عصمني ربي عز وجل
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه
شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال
الله فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال
دماغه فنزلت الآية وقد رويت هذه القصة في الصحيح ان غورث بن
الحارث صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى
قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت
له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين
وذكر مثله وقد روي انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل
اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه
وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال
اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط
السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الآية وفي رواية
الخطابي ان غورث بن الحارث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله
عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه
بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه
من يده الزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى ثم قال من شاء
فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاة

وفي نسخة غويرث مصغرا واختار الحلبي وتبعه
الحجازي ورواه الخطابي ان غويرث او
غورث بن الحارث الى ان قال ... مع
بالعين المهملة او المعجمة والشك في التصغير
والتكبير ما ذكره الحافظ المزي ان غورث
بالمعجمة غير مصغر كما اورده المصنف فيما
تقدم والله سبحانه اعلم
علي قاري

العضاة وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطاها
كثيبا اهيل وذكر ابن اسحاق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب
وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر
الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين
صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه وعن
الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا رايناه سمعنا
صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا
حتى قضى صلوته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رايناه
جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو
جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا
له فافتتح وقرا الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على
عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر ومنه العبرة
المشهورة والكفاية التامة عندما اخافته قريش واجمعت على قتله و
بيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم
في الغار بما هيا الله له من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال
امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه ما ارى انه قبل ان
محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت
هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت
قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب
منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم

الجعال جمع جعالة او جعالة بالفتح
وهي ما [illegible] او مثلثا
و[illegible] بالضم الاسم [illegible] المصدر [illegible]
[illegible] السهيلي فقال [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم
علي قاري

بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم
وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أُتينا
فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتيها وخرّ عنها فزجرها
فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله
عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره
النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول
للناس كفيتم ما ههنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا
ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم **وفي** خبر آخر ان راعيا عرف
خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري
ما يصنع ونسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه **وجاء** فيما ذكر ابن اسحاق
وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت
بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأله
ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك
وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شانه فذكر انه عرض لي
دونه فحل ما رأيت مثله قط همّ بي ان يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ذاك جبريل لو دنا لاخذه **وذكر** السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى
النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم
وسمع قوله فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه **وذكر** ان في هاتين
القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الآيتين **ومن** ذلك ما ذكره
ابن اسحاق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض
آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى



الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم **وقد** قيل ان قوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة
نزلت **وحكى** السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين
الذين قتل عمرو بن امية فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك
ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي
معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد
حاجته حتى دخل المدينة **وذكر** اهل التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا
جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي ليطأن رقبته
فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا
ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق
مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت
الارض فقال عليه السلام تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على
النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى الى آخر السورة **ويروى**
ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل اباه وعمه فقال
اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه
ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من
البرق فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع
يده على صدري وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي **وعن**
فضالة بن عمرو قال اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف
بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به
نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي

فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه ومن مشهور ذلك
خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم
وكان عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيئا
فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه
افاضربك ومن عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه
لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه
امره ومن نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال عليه السلام فصل ومن
معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على
مصالح الدنيا والدين ومعرفته بامور شرائعه وقوانين دينه وسياسة
عباده ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة
والقرون الماضية من لدن آدم الى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي
سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف
ارائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة
ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها
واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب
الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها
وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال
الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع
الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد
الآداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة
الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه

صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات
وحرم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم
من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا الى الاحتواء على ضروب
العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير
ذلك من ما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه السلام فيها قدوة واصولا في علمهم
كقوله عليه السلام الرؤيا لاول عابر وهي على رجل طائر وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا
حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا
تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء البردة
وما روي عنه في حديث ابي هريرة من قوله المعدة حوض البدن والعروق
اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم
عليه دارقطني وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي و
خير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود
الهندي سبعة اشفية وقوله ما ملا ابن آدم وعاء شرا من بطن الى
قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله
وقد سئل عن سبا ارجل هو ام امراة ام ارض فقال رجل ولد عشرة
تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في
نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله
عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير راس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها
والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله في الحوض زواياه
سواء وقوله في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان

العلوم ح

والف وخمسمائة في الميزان وقوله وهو موضع نعم موضع الحمام هذا
وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس
منك بالخيل وقوله ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه صلى
الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى قد وردت
آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن
الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الآخر
الذي يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه السلام فقال له
الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم و
حسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم هذا وان لم تصح الرواية انه عليه السلام
كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه عليه السلام
بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على بعضه
اول الكتاب وكذلك حفظه وكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سنه
سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في
حديث ابي هريرة اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك
مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف
على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله امي لم يكتب ولم يقرأ
ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء
من هذه الامور ولا عرف قبل هو بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو
من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية انما كانت غاية معارف العرب النسب
واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم
ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر

بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد
الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه
بشر فرد الله قولهم بقوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان
عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان
العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور
ما لا ينعد من الآيات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرأ على النبي صلى
الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده
عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم الفصحاء الالد والخطباء اللسن
قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة
تأليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي او يعيش
او جبر او يسار على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم يكلمونهم مدى اعمارهم
فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد عليه السلام وهل عرف
واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب
طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا فيأخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه
ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار كتبه ولا
غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل
الكتب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على
عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه
مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه
عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف مدة مقامه بمكة من تعليم واختلف الى حبر
او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا كله لكان مجيء ما اتى به في معجز القرآن

ن

قاطعاً لكل عذر ومدحضاً لكل حجة ومجلياً لكل أمر فصل ومن خصائصه
عليه السلام وكراماته وباهر آياته أنباؤه مع الملائكة والجن وإمداد الله له
بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من أصحابه لهم قال الله تعالى وإن تظاهرا
عليه فإن الله هو مولاه الآية وقال إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين
آمنوا وقال إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم الآيتين وقال وإذ
صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه
سماعي عليه نا أبو الليث السمرقندي قال نا عبد الغافر الفارسي نا أبو أحمد الجلودي نا
ابن سفيان نا مسلم نا عبيد الله بن معاذ نا أبي نا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر
بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل
في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهما من الملائكة
وما شاهد من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور وقد رآهم بحضرته
جماعة من أصحابه في مواطن مختلفة ورأى ابن عباس وأسامة وغيرهما عنده
جبريل في صورة دحية ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة
رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها
يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب
ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض
ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين ورأى النبي
صلى الله عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة فخر مغشياً عليه ورأى عبد الله بن
مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد أن
مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله
عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم أنه



أنه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب أنه قال بينا نحن
جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ بيده عصى فسلم على النبي صلى الله
عليه وسلم فرد عليه فقال نغمة الجن من أنت قال أنا هامة بن الهيم بن لاقيس
بن إبليس فذكر أنه لقي نوحاً ومن بعده في حديث طويل وأن النبي صلى الله
عليه وسلم علمه سوراً من القرآن وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى السوداء
التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له تلك العزى وقال عليه السلام إن شيطاناً تفلت البارحة ليقطع
علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية
من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان رب اغفر لي
وهب لي ملكاً الآية فرده الله خاسياً وهذا باب واسع فصل ومن دلائل
نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأحبار و
علماء أهل الكتب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي
بين كتفيه وما وجد من ذلك في أشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والأ
والأوس بن حارثة وكعب بن لؤي وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة
وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من أمره زيد بن عمرو بن
نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب
تبع من صفته وخبره وما ألفي من ذلك في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء
وبينوه ونقله عنهم ثقات من أسلم منهم مثل ابن سلام وابني سعية وابن
يامين ومخيريق وكعب وأشباههم ممن أسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور
الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر وأسقف الشام والجارود والنجاشي و
نصارى الحبشة وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد

اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالم النصارى ورئيسهم ومقوقس
صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه وكعب بن
اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود وممن حمله الحسد والنفاسة
على البقاء على الشقاء والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع يهود
والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه واحتج عليهم بما انطوت
عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره
ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته وابداء
ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره اهون
عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال
لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان
مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى
نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن
بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة
الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان
ومن ذبائح النصب واجواف الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم
والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره
مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور **فصل** ومن ذلك
ما ظهر من الآيات عند مولده وما حكته امه وما حضره من العجائب وكونه
رافعا رأسه عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السماء وما رأته من النور
الذي خرج معه عند ولادته وما رأته اذ ذاك ام عثمان بن ابي العاص
من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء

٩٨

الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط على يدي و
استهل سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لي ما بين المشرق والمغرب
حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من بركته
ودرور لبنها وله ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن
نشأته وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى
وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف
عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب وآله وهو صغير شبعوا
ورووا واذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد ابي
طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا
**ومن** ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم
استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور
الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في سترة في الخبر
المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه
الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه
ما بالك فقال اني نهيت عن التعري **ومن** ذلك اظلال الله له بالغمام
في سفره **وفي** رواية ان خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان
يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه
سفره **ومن** ذلك انه نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة
يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت هي فاشرقت وتدلت عليه اغصانها
بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الآخر حتى اظلته وما ذكر من
انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان

لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم
اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان بين بيته
وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل
عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلوة الملئكة على جسده على
ما رويناه في بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم يستاذن على غيره
قبله ونداهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا القميص عنه عند غسله وما روي
من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه من كرامته
وبركته في حيوته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته

فصل

قال القاضي ابو الفضل قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة
جمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير
سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص
المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه
مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا للاختصار
وبحسب هذا الباب لو تقصى ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات
عدة ومعجزات نبينا محمد اظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين
احدهما كثرتها وانه لم يوت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ
منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات
من تقدم من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله واما كونها كثيرة
فهذا القرآن وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين
سورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها وذهب بعضهم الى ان
كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد اخرون ان كل جملة منتظمة



منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى
فاتوا بسورة مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول
بسطه واذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين
الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر
عشر كلمات فتجزأ القرآن على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد
من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم بو جهين
طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان
فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم
الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن اشياء
من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه
الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد
يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار
الصادرة عنه عليه السلام في هذه الابواب عما دل على امره مما اشرنا
الى جمل يبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم
فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما
فيه قرنه فلما كان زمن موسى غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة
تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدر تهم
وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله
فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الميت وابراء
الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء
ثم ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها

اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل عليه القرآن الخارق لهذه الا ربعة
فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم
الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا
في اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار
والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك
وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب
عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار
عن القرون السالفة وانباء الانبياء والامم البائدة والحوادث
الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها
وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول
الاخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة الى يوم القيمة بينة الحجة
لكل امة تاتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه الى
ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر
فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان و
ليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس اشد طمانينة
الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا وسائر
معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا
اشار اليه عليه السلام بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد ابو علي نا القاضي ابو
الوليد نا ابو ذر نا ابو محمد وابو اسحاق وابو الهيثم قالوا نا الفربري نا البخاري
نا عبد العزيز بن عبد الله نا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي

النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء نبي الا اعطي من الآيات
ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله
الي فارجو اني اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم
وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله وذهب غير واحد من العلماء في تا ويل
هذا الحديث وظهور معجزة نبينا عليه السلام الى معنى آخر من ظهورها
بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها
من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا في التخييل بها
على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر
او يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان
من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا
خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل
الاول اخلص وارضى وفي هذا الثاني ونيل الثاني ما يغمض الخفي عليه ويغضي وجه
ثالث على مذهب من قال بالصرافة وان المعارضة كانت في مقدور البشر
فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم هم
ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم
عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما في
مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء
والاذلال وتغير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز
والتهديد والوعيد ابين آية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته
وانهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي
الجويني وغيره قال وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة في

أنفسها كقلب العصا حية ونحوها فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بدارا أن
ذلك من اختصاص صاحب تلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم
إلى أن يرد ذلك صحيح النظر وأما التحدي للخلائق مئين من السنين بكلام
من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة
ثم عدمها إلا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي أن يمنع الله القيام
عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجز هم
الله عن القيام لكان ذلك من أبهر آية وأظهر دلالة وبالله التوفيق وقد
غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الأنبياء حتى احتاج
للعذر عن ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها
وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم وغيرهم
من القبط وبني إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة
وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري
ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه
ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلظ
أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير والعرب
على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله
زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل
عقله وصفاء لبه فلما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل
إدراكهم لأول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا
الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم في نصرته

في نصرته وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه
وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها
ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله أستعين
القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام قال القاضي أبو الفضل
وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في أربعة أبواب على ما ذكرناه أول الكتاب ومجموعها
في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم
الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره الباب الأول في فرض الإيمان به ووجوب
طاعته واتباع سنته إذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته
وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله و
النور الذي أنزلنا وقال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا
بالله ورسوله وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الآية فالإيمان بالنبي
محمد عليه السلام واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه
قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا
أبو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه نا الإمام أبو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي
نا ابن عمرويه نا ابن سفيان نا أبو الحسين نا أمية بن بسطام نا يزيد بن
زريع نا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا
أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني
دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي أبو الفضل والإيمان
به عليه السلام هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء
به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله

فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بذلك باللسان تم الايمان بدو
التصديق له بمجاوز وفي هذا الحديث لفظة من رواية عبد الله بن عمر
امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله وذكر اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان قال ان تؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج
الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحالة
المحمودة التامة واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق
القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
اى كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه
فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه اذ لم يكن معهم وألحقوا
بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار
شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين
احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل
الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها
وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل
في حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت
حالتان اخريان بين هذين احديهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل

اتساع وقت للشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام
الايمان القول والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله
عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر
سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا
الصحيح في هذا الوجه الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من
الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه
ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص
بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء
عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها
وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يفضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان
وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق
لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف
صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة
ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما
ذكرنا غنية فيما قصدنا ان شاء الله فصل واما وجوب طاعته فاذا وجب
الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال
الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله
والرسول اطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وا
وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الآية وقال
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته

وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته
بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة
طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا ما ارسل الله
من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول في
سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الاسلام
فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه
والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال
اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد
بن عتاب بقراءتي عليه نا حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف نا محمد بن
احمد نا محمد بن يوسف نا البخاري نا عبدان انا عبد الله انا يونس عن الزهري
نا ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني
ومن عصى اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته
فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى الله عن الكفار في دركات
جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا
فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه السلام اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه
واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه عليه السلام
كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل
الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الآخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل
ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رأيت الجيش بعيني
واني انا النذير العريان فالنجاء فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا

فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم
الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل
من عصاني وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث الآخر في مثله كمثل
من بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار
واكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المأدبة
فالدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا
فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس فصل واما وجوب اتباعه وامتثال
سنته والاقتداء بهديه فقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي
يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك الى قوله تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم و
اسلم اذا انقاد وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن
كان يرجو الله واليوم الآخر الآية قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول
الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد
من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى
صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم تعالى بذلك ووعدهم
الاهتداء باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الآية الاخرى ومغفرته
اذا اتبعوه وآثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم
بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن ان اقواما
قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية

وروى ان الآية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء
الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل الله الآية وقال الزجاج معناه
ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد
لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه
عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال
القائل تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع لو كان
حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع ويقال محبة العبد لله تعظيمه
له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه
وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان
من صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى
حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه قال نا ابو الاصبغ عيسى بن سهل ونا ابو
الحسن يونس بن مغيث الفقيه قراءة عليه قالا نا حاتم بن محمد قال نا ابو حفص
الجهني نا ابو بكر الآجري نا ابراهيم بن موسى الجوزي نا داود بن رشيد نا الوليد
بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي
وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ
واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث
جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه عليه السلام لا الفين
احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول
لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عائشة صنع رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه

وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم
بالله واشدهم له خشية وروي عنه عليه السلام انه قال القرآن صعب مستصعب على
من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن
تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي
ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى
وما آتاكم الرسول فخذوه الآية وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب
عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن
الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله
بن عمرو بن العاص قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو
فضل آية محكمة وسنة قائمة وفريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن قال
عليه السلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال عليه السلام ان الله
يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال عليه السلام ان
بني اسرائيل افترقوا على اثنين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلث
وسبعين كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي
انا عليه اليوم واصحابي وعن انس قال عليه السلام من احيا سنتي فقد احياني
ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لبلال بن الحارث من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان له
من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع
بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص
ذلك من اوزار الناس شيئا فصل واما ما ورد عن السلف والائمة

من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته حدثنا الشيخ ابو عمران موسى
بن عبد الرحمن بن ابي تليد الفقيه سماعا عليه قال نا ابو عمر الحافظ نا سعيد
بن نصر نا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا نا محمد بن وضاح نا يحيى
بن يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سأل
عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلوة الخوف وصلوة الحضر في
القرآن ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله قد بعث الينا
محمدا ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رأيناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق
لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها
ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها منصور
ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت
مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة
وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة
نجاة وكتب عمر بن الخطاب تعلموا السنة والفرائض واللحن اي اللغة وقال ان
ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم
بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال كما رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي حين قرن فقال له عثمان ترى انه
نهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقول احد من الناس وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد
في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلوة السفر ركعتان

ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة
فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من
خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله
في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها
فهي كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحاتت عنها ورقها الا حط الله عنه
خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل وسنة خير
من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة فانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا
واقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد
العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة او يحملهم على البينة
وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان
لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء في قوله فان تنازعتم في شيء فردوه
الى الله والرسول الى كتاب الله وسنة رسول الله وقال الشافعي
ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها وقال عمر ونظر الى
الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورئي عبد الله بن عمر يدير ناقته في
مكان فسئل فقال لا ادري الا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله
ففعلته وقال ابو عثمان الحيري من امر السنة على نفسه قولا وفعلا
نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري
اصول مذهبنا ثلثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال
والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال وجاء في تفسير قوله والعمل الصالح
يرفعه انه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي ان احمد بن حنبل قال

كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرأيت
تلك الليلة قائلا لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك
السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل فصل
ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلا ن
والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد
ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الآية حدثنا ابو
محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا نا ابو
القاسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسي نا ابو الحسن بن مسرور الدباغ نا
احمد بن ابي سليمان نا سحنون بن سعيد نا ابو القاسم نا مالك عن العلاء
بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حو حي
كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك
فاقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد
وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين
احدكم متكئا على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه
فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام الا
وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال عليه السلام
جئت بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به



به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا
عليك الكتاب يتلى عليهم الآية وقال عليه السلام هلك المتنطعون وقال
ابو بكر الصديق رضه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ الباب الثاني
في لزوم محبته قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازوا جكم
وعشيرتكم واموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام
محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع تعالى من
كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا
حتى يأتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الآية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا
ابو علي الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قال نا سراج
بن عبد الله القاضي نا ابو محمد الاصيلي نا المروزي نا ابو عبد الله محمد بن يوسف نا
محمد بن اسمعيل نا يعقوب بن ابراهيم نا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن
انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون
احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة نحوه وعن
انس عنه عليه السلام ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله
ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان
يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب انه قال للنبي
صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه
فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي
فقال النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول

عليه السلام عليه في جميع الاحوال ويرى الغنة في ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة
سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه
من ولده الحديث فصل في ثواب محبته حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه نا
ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن خلف نا ابو زيد المروزي نا محمد بن يوسف
محمد بن اسمعيل نا عبدان نا ابي نا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي
الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الساعة يا رسول الله متى
قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلوة ولا صوم ولا صدقة
ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن صفوان بن
قدامة هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله
ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال
المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله
بن مسعود وابو موسى وانس وعن ابي ذر بمعناه وعن علي ان النبي صلى الله
عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين فقال من احبني واحب هذين واباهما
وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر
حتى اجي فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت
الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقراها عليه وفي
حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال
ما بالك قال بابي وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله



الله بتفضيله فانزل الله الآية وفي حديث انس ومن احبني كان معي في
الجنة فصل فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه
وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد نا العذري نا الرازي نا الجلودي
نا ابن سفين نا مسلم نا قتيبة نا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن
ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد
امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله ومثله
عن ابي ذر وتقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب
الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان
احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت
خالد بن معدان قالت ما كان خالد ياوي الى فراش الا وهو يذكر
من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين
والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي
اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر انه قال
للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان
اقر لعيني من اسلامه يعني اباه قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب
كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قال للعباس ان تسلم احب
الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن ابن اسحق ان امراة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها
يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله قالوا
خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت ارنيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل
مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب كيف كان حبكم لرسول الله

صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا و
اباينا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ وعن زيد بن اسلم خرج عمر
ليلة يحرس الناس فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول
على محمد صلوة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكاء بالاسحار
ياليت شعري والمنايا اطوار هل تجمعني وحبيبي الدار تعني النبي صلى الله عليه وسلم
فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي ان عبد الله بن عمر خدرت رجله
فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت
ولما احتضر بلال نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا
وحزبه ويروى ان امرأة قالت لعائشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة
من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفين بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان
محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما
احب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي
فقال ابو سفين ما رأيت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا
صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس كانت المرأة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم
حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت
الا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له و
قال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله فصل في علامة
محبته عليه السلام اعلم ان من احب شيئا آثره وآثر موافقته والا لم يكن صادقا
في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع



واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه
في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته
قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط
العباد في رضى الله حدثنا القاضي ابو علي الحافظ نا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون
قالا نا ابو يعلى البغدادي نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى نا مسلم بن حاتم
نا محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال
انس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح
وتمسي ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيا
سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل
المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها
ودليله قوله عليه السلام للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي
صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه
فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا
يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما
ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره
عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال اسحاق التجيبي كان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا و
كذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعله

تهيباً وتوقيراً ومنها محبة لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه
من آل بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم وبغض
من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئاً احب من يحب وقد قال عليه السلام
في الحسن والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه
وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد
ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضاً فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد
آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه وقال
في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعائشة في اسامة بن زيد
احبيه فاني احبه وقال آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم وفي
حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم فبالحقيقة
من احب شيئاً احب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات و
شهوات النفس وقد قال انس حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء
من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله
بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسألوها ان تصنع لهم طعاماً مما كان
يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية
ويصبغ بالصفرة اذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض
من ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته و
ابتدع في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوماً يؤمنون
بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه عليه السلام
قد قتلوا احباءهم وقاتلوا آباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن

بن عبد الله ابي لو شئت لأتيتك برأسه يعني اباه ومنها ان يحب القرآن الذي
اتى به عليه السلام وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة كان خلقه القرآن
وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها قال
سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي
صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة
حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا
ان لا يدخر منها الا زاداً وبلغة الى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسأل احد عن نفسه
الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي
صلى الله عليه وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار
عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها
في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به وقد قال عليه السلام لابي سعيد الخدري
ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى الوادي او الجبل الى اسفله
وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني
احبك فقال انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني
فاعد للفقر تجفافاً ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله
عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم
وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف
احوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام كأنه التفت الى قوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته
والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر
للمحبوب وقال آخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال

بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كحب الصالحين والعلماء واهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في آخرين ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب كلها في حقه عليه السلام فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه على امته فكذلك قد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين رؤوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين واي افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد

١١٠

السرمد فقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار وعادة وجبلة بما ذكرناه آنفا لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر من قوام طريقته او قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال علي رضه في صفته عليه السلام من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه

فصل في وجوب مناصحته عليه السلام قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه نا حسين بن محمد نا يوسف بن عبد الله نا ابن عبد المؤمن نا ابو بكر التمار نا ابو داود نا احمد بن يونس نا زهير نا سهيل بن ابي صالح عن بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحاق الخفاف النصح فعل الشيء

الذي به الصلاح والملائمة مأخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب
وقال ابو اسحاق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه
بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والاخلاص
في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده
والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين
والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو
سليمان وقال ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب
والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة وقال ابو ابراهيم
التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته و
نشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها
وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ابو بكر الآجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا
بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع
والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه الآية وقال وينصرون الله ورسوله الآية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته
فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه
في شريعته ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه
والتحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وآدابه والصبر على
ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه
وحكى الامام ابو القاسم القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان
ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رئي في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي

غفر لي فقيل بماذا فقال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودي فاعجبني
كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته
فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم نتهم
فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم
عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم
عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر
دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر
عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم الباب الثالث في تعظيم
امره ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الآية وقال يا ايها الذين آمنوا لا
تقدموا بين يدي الله ورسوله ويا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي الثلاث الآيات وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس
تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه
وقال الطبري تعينونه وقرئ تعززوه بزايين من العز ونهى عن التقدم بين
يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار
ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا
ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء في ذلك
من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه والى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد
والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال
واتقوا الله ان الله سميع عليم قال الماوردي واتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا

الله في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت
فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم
بعضاً باسمه قال ابو محمد مكي اي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا
تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى
به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله في الآية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضاً على احد التأويلين قال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم
الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الآية في وفد بني
تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا
فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الآية الاولى
في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف
جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب
النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في اذنه صمم فكان يرفع صوته
فلما نزلت هذه الآية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط عمله ثم اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر
بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما
ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي
ان ابا بكر لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كأخي
السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه كأخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون
اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة
واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم

نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر
اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك
فانك قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا
راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما
للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها
اذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال و
قيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن
قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة و
قيل غير هذا فصل في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام وتوقيره واجلاله
حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي سماعا عليهما في آخرين
قالوا نا احمد بن عمر نا احمد بن الحسن نا محمد بن عيسى ابراهيم بن سفيان نا مسلم نا
محمد بن مثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور نا الضحاك بن مخلد انا
حيوة بن شريح نا يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن
العاصي فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املأ عيني منه
اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املأ عيني منه وروى
الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من
المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره
الا ابو بكر وعمر فانهما ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى
اسامة بن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كأنما
على رؤوسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم

العلي وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى وانه لا يتوضأ الا
ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة
الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة
الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم
عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش اني جئت كسرى
في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكا في قوم
قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما
يعظم محمدا اصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ن
ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان في الطواف
بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية ابى وقال ما كنت
لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة ان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن
قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فاعرض عنه اذ طلع طلحة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة
فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت من
الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت
اريد ان اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فاؤخر سنين
من هيبته فصل واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره






وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام
وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم اهل
بيته وصحابته قال ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده
ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان
يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به قال القاضي ابو
الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا الماضين رضي الله عنهم
حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن
بقي الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه قالوا انا ابو العباس احمد بن عمر بن
دلهاث قال نا ابو الحسن علي بن فهر نا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج نا ابو
الحسن عبد الله بن المنتاب نا يعقوب بن اسحاق بن ابي اسرائيل نا ابن حميد
قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب
قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال ان
الذين يغضون اصواتهم الآية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك الآية
وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا عبد الله استقبل القبلة يا ر
وادعوا ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك
عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيمة
بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم الآية وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد
الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه
كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما رأيت منه ما رأيت

واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله
كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب
ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما انكرتم
علي ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد
نسأله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد
وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر
وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد
اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلث خصال اما مصليا واما
صامتا واما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد
الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي
صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه
في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن عبد
الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه
دموع ولقد رأيت الزهري وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا
ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت
آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي عن قتادة انه كان
اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس قيل له
لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان عبد الرحمن
بن مهدي اذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال



لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتأول انه يجب له من الانصات عند
قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ
نا ابو الفضل بن خيرون نا ابو بكر البرقاني وغيره نا ابو الحسن الدارقطني نا
علي بن مبشر نا احمد بن سنان القطان نا يزيد بن هارون نا المسعودي
عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما
سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى
على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رأيت
العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما دون
ذا او ما قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت
عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري
قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه فقال
اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان آخذ حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن
حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال
اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع
وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث
النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث
بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك
ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا
حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث

قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية
فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل فان قالوا
المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب
ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له
منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك
فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا
على طهارة متمكنا قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او قائم او مستعجل
وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن
المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة
وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رأيت منك
اليوم عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني لے
وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسأل عن حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن نمشي وسأل جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم
فأمر بحبسه فقيل له انه قاض فقال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام بن
الغاز سأل مالكا حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم
اشفق فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا



سياطا وزادني حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث
لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا تقرأ
احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان
الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم فصل ومن توقيره صلى الله
عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه كما حض عليه عليه السلام
حبس وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت الآية وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل
من كتابه وكتبت من اصله نا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام القاسم
بنت الشيخ ابي بكر الخفاف نا ابي نا حاتم هو ابن عقيل نا يحيى هو ابن اسمعيل نا
يحيى هو الحماني نا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان
عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل
بيتي ثلاثا قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل
العباس وقال عليه السلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب
الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه السلام معرفة
آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد
امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله
عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر
بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية و
ذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف
ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
وعن سعد بن ابي وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم

عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء أهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم
في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
وقال فيه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق وقال للعباس والذي
نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن آذى عمي
فقد آذاني وإنما عم الرجل صنو أبيه وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك
فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من
النار كستري إياهم فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وكان
يأخذ أسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم إني أحبهما فأحبهما وقال أبو بكر رضي الله عنه
ارقبوا محمدا في أهل بيته وقال أيضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى
الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم أحب الله
من أحب حسنا وقال من أحبني وأحب هذين وأشار إلى حسن وحسين وأباهما
وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من أهان قر يشاً
ولا تقدموها وقال عليه السلام لأم سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن
الحارث رأيت أبا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بأبي شبيه بالنبي ليس
شبيها بعلي وعلي يضحك وروي وعن عبد الرحمن بن حسن بن حسن قال أتيت
عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي إذا كانت لك حاجة فأرسل إلي أو اكتب
فإني أستحيي من الله أن يراك على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على
جنازة أمه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال
زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن
عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ورأى ابن عمر محمد بن
أسامة بن زيد فقال ليت هذا عندي فقيل له هو محمد بن أسامة فطأطأ



فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده الأرض وقال لو رآه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأحبه وقال الأوزاعي دخلت بنت أسامة بن زيد
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى
لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى إليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه
بين ثيابه ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة
إلا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في ثلاثة آلاف ولأسامة
ابن زيد في ثلاثة آلاف وخمسمائة قال عبد الله لأبيه لم فضلته فوالله
ما سبقني إلى مشهد فقال له لأن زيدا كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أبيك وأسامة أحب إليه منك فآثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على حبي وبلغ معاوية أن كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين
عينيه وأقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي
أن مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا
عليه دخل عليه الناس فأفاق فقال أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل
فسئل بعد ذلك فقال خفت أن أموت فألقى النبي صلى الله عليه وسلم
فأستحيي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي وقيل إن المنصور أقاده من
جعفر فقال له أعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وقد جعلته
في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو بكر بن عياش
لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أقدمه عليهما
وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد

فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رايتم آية فاسجدوا واي آية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي عليه السلام ويقولان
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على
النبي عليه السلام بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي وفدت على ابي بكر
وعمر فصنعا بها مثل ذلك **فصل** ومن توقيره وبره عليه السلام توقير اصحابه
وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك
عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المؤرخين وجهلة
الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما
نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب
المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر
حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرتهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه السلام
اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء
على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة وقال والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار وقال لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية حدثنا القاضي ابو علي
نا ابو الحسين وابو الفضل نا ابو يعلى نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا الترمذي نا الحسن
بن الصباح نا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن
ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا
باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح



في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن
آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك
ان ياخذه وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ
مد احدهم ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة و
الناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي
فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين
والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير
اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد
ابغضني قال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء
المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاءوا من بعدهم وقال من غاظه
اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك
خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
قال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح
السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن احب عليا فقد
اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف
الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه
سليما وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها
الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر
وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا

لهم ذلك ايها الناس ان الله عفو لاهل بدر والحديبية ايها الناس
احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها
مظلمة لا توهب في القيمة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز
من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معاوية
صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتي النبي صلى الله عليه وسلم
بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه وقال عليه السلام في
الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي
واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم
تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه عليه السلام من حفظني
في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني في اصحابي ورد على الحوض
ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني الا من بعيد قال مالك رحمه الله
هذا النبي مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف
الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امره الله وامر النبي
بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب ليس احد من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري
لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره فصل ومن اعظامه واكباره
اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده
وما لمسه عليه السلام او عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت كان
لابي محذورة قصة في مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض
فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه السلام

السلام فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب
القلنسوة بل لما تضمنته من شعره عليه السلام لئلا اسلب بركتها وتقع
في ايدي المشركين ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة
وكان يقول استحيي من الله ان اطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحافر دابة وروي انه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال
له الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن
السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال
ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية يضرب
ثلثين درة وكان له قدر وامر بحبسه وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة
دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال عليه
السلام في المدينة من احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله و
الملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكي ان جهجاها
الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه
وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته
فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه السلام من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده
من النار وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا
وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا ولما راينا رسم من لم يدع لنا
فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة لمن بان
عنه ان نلم به ركبا وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة

الرسول اشد منتلا • رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تنقطع دونه الاوهام •
واذ المطي بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام • قربننا من خير
من وطئ الثرى فلها علينا حرمة وذمام • وحكى عن بعض المشايخ انه
حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد العابق لا ياتي الى بيت مولاه راكبا
لو قدرت ان امشي على رأسي ما مشيت على قدمي قال القاضي وجدير لموا طن
عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة و
الروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح اشتملت تربتها على جسد سيد البشر
وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات ومساجد
وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومنا سك
الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوا خاتم النبيين
حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول
ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها
وجدرانها • يا دار خير المرسلين ومن به هدي الانام وخص بالآيات •
عندي لاجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد الجمرات • وعلي عهد ان ملأت
محاجري من تلكم الجدرات والعرصات • لاعفرن مصون شيبي بينها من كثرة
التقبيل والرشفات • لولا العوادي والاعادي زرتها ابدا ولو سحبا على
الوجنات • لكن سأهدي من حفيل تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات •
اذكى من المسك المفتق نفحة تغشاه بالآصال والبكرات • وتخصه بزوا كى
الصلوات ونوامي التسليم والبركات الباب الرابع في حكم الصلوة عليه
والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي
الآية قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي وقيل ان



ان الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد واصل الصلوة الترحم
فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله وقد ورد
في الحديث صفة صلوة الملائكة على من جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له
اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلوة من الله تعالى لمن دون النبي
رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية
صلوة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوة الملائكة الدعاء قال القاضي
ابو الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة بين
لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى
به عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله
عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا
ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره
وفي معنى السلام عليه ثلثة وجوه احدها السلامة لك ومعك ويكون
السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك
ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله الثالث
ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا
تسليما فصل اعلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على
الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه وحمل الائمة والعلماء له
على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الآية عنده على
الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي
يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا

وذلك مندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي
ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على
الانسان وفرض عليه ان يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال
القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما
ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي
ابو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي
ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا تتعين في الصلوة
وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي
الفرض منها الذي امر الله به ورسوله عليه السلام هو في الصلوة وقالوا واما
غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلوة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري
والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على ان
الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي
في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخير
وقبل السلام فصلوته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له
في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته
فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير
واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلوة الا صلى فيها على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان تركه تارك فصلوته مجزية في مذهب
مالك واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب الرأي وغيرهم
وهو قول جل اهل العلم وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير



الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فاوجب على
تاركها في الصلوة الاعادة واوجب اسحاق الاعادة مع تعمد تركها دون
النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة وقاله
محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن المواز
يراها فريضة في الصلوة كقول الشافعي وقد خالف الخطابي من اصحاب
الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسئلة قال الخطابي وليست بواجبة
في الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة
والدليل على انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي
واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسئلة جدا وهذا التشهد ابن
عباس الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه
الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي
صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري
وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله
عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن ابي
سعيد وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان
في الكتاب وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلوة لمن
لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في
عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث ابي جعفر
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة لم يصل فيها

على وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد
بن علي بن الحسين لو صليت صلوة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى اهل بيته لرايت انها لا تتم فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلوة
والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلوة
كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله
بقراءتي عليه قال نا الامام ابو القاسم البلخي قال نا الفارسي عن ابي القاسم
الخزاعي عن الهيثم عن ابي عيسى الحافظ قال نا محمود بن غيلان نا عبد الله بن يزيد
المقرئ نا حيوة بن شريح نا ابو هانئ الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره
انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلوته
فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا
ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد الله والثناء عليه ثم
ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من غير هذا
السند بتحميد الله وهو اصح وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلوة معلق
بين السماء والارض ولا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله
عليه وسلم وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد
وروي ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن
مسعود اذا اراد احدكم ان يسال الله شيئا فليبدا بمدحه والثناء عليه
بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسال فانه اجدر ان ينجح
وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب يملا
قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضا
والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه وآخره وقال ابن عطاء

عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي
وان وافق اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه
انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله
وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلوة
على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلوتين لا يرد وفي
حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلوة علي صعد
الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب
دعائي ثم تبدا بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان تصلي على محمد عبدك
ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين آمين ومن
مواطن الصلوة عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان وقد قال عليه السلم
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
عند الذبح وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب
وطلب الثواب قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة
والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله
صلى الله على محمد لم يكن تسمية له مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلوة على
النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن اوس بن اوس عن النبي
صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة
والسلام دخول المسجد قال ابو اسحاق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله
ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار

في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد
فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا
المساجد قال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن
في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا
دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله
وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلوة واحتج
ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو
بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم واختلاف ف
في الفاظه ومن مواطن الصلوة عليه ايضا الصلوة على الجنائز وذكر عن ابي امامة
انها من السنة ومن مواطن الصلوة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلوة
على النبي وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول
احدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من
يختم به الكتب وقال عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له
ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم
تشهد الصلوة حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرئ الخطيب رحمه الله
وغيره قال حدثتني كريمة بنت احمد قالت نا ابو الهيثم نا محمد بن يوسف نا
محمد بن اسمعيل نا ابو نعيم نا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات
والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا



علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا فعلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء
والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد وقد روى مالك
عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب
مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء
عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم
واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان عند سلامه كل عبد صالح في السماء والارض ض
من الملائكة وبني آدم والجن قال مالك في المجموعة واحب للمأموم اذا سلم امامه
ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام عليكم فصل في كيفية الصلوة عليه والتسليم حدثنا ابو اسحاق
ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه نا القاضي ابو الاصبغ نا ابو عبد الله بن عتاب
نا ابو بكر بن واقد وغيره نا ابو عيسى نا عبيد الله نا يحيى نا مالك عن عبد الله بن ابي
بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد
الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل
على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وازواجه
وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي
مسعود الانصاري فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابراهيم
وبارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام
كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على
ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن
عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وفي رواية

ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي
ابو عبد الله التيمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراتي عليه قالا انا ابو عبد
الله بن سعدون العقبة قال انا ابو بكر المطوعي قال انا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر
بن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور
عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه
علي بن ابي طالب قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
عدهن في يدي جبريل قال هكذا انزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم
على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم
وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
وعن ابي هريرة رضه عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال
الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات
المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية
زيد بن خارجة الانصاري سال النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال
صلوا واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على ابراهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلوة على
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل شرائف
صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح
لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل



حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا
لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبس القابس آلاء الله تصل باهله
اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم موضحات الاعلام
ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك
المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم
افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنات له غير
مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل
على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه
من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل
وبرهان عظيم وعنه ايضا في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله و
ملائكته يصلون على النبي الآية لبيك اللهم وسعديك صلوات الله البر الرحيم
والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح
لك من شيء يارب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد
المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك
بك
السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك
امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والآخرون
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وكان
الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى
فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل

بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم
الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة
محمد الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله في الآخرة والاولى كما آتيت
ابراهيم وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه اللهم
اعط محمدا افضل ما سألك لنفسه واعط محمدا افضل ما سألك له احد
من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسؤول له الى يوم القيمة وعن ابن
مسعود انه كان يقول اذا صليتم على النبي عليه السلام فاحسنوا الصلوة
عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلوتك
ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين
محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما
محمودا يغبطه به الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وما يؤثر في تطويل الصلوة وتكثير
الثناء عن اهل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في
التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي السلام على نبي الله السلام على انبياء الله
ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا
وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته
واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا
الحديث عن علي الدعاء للنبي بالغفران فصل في فضيلة الصلوة على النبي و



والتسليم عليه والدعاء له حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه نا
القاضي يونس بن مغيث نا ابو بكر بن معاوية نا النسائي نا سويد بن
نصر انا عبد الله عن حيوة بن شريح قال انا كعب بن علقمة انه سمع عبد
الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي
فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة
في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل لي
الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى انس بن ملك ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من صلى علي صلوة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات
ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه عليه السلام
ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلوة صلى الله عليه عشرا ورفع عشر
درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلام لقيت
جبريل فقال اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن
صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن
الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك
يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيمة
اكثرهم علي صلوة وعن ابي هريرة عنه عليه السلام من صلى علي في كتاب
لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلوة صلت عليه الملائكة
ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله
جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول
الله اني اكثر الصلوة عليك فكم اجعل لك من صلوتي قال ما شئت
قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال الثلث قال ما شئت
وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال
الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلوتي
كلها لك قال اذا تكفى همك ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله
عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته ما لم اره فسألته فقال وما يمنعني
وقد خرج جبريل آنفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك
ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا
وعن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة و
الفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة
وعن سعد بن ابي وقاص من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا و
بمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن وهب ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من صلى علي عشرا فكانما اعتق رقبة وفي بعض الآثار
ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلوتهم علي وفي آخر ان انجاكم
يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلوة وعن ابي بكر الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه
افضل من عتق الرقاب فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم



وسلم واثمه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله نا ابو الفضل بن خيرون وابو
الحسين الصيرفي قالا نا ابو يعلى نا السنجي نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى نا احمد
بن ابراهيم الدورقي نا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحاق عن سعيد
بن ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف
رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ
قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة
قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم
صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ
عن ذلك فقال ان جبريل صلى الله عليه وسلم اتاني فقال يا محمد من سميت
بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله فقل آمين فقلت آمين
وقال فيمن ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك
ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي بن ابي طالب عنه عليه السلام
قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به طريق
الجنة وعن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم
صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا
على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان
شاء غفر لهم وعن ابي هريرة من نسي الصلوة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة
عنه من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه عليه السلام ما جلس
قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا

عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس
قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة
وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم
قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزأ عنه ما كان في
ذلك المجلس فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلوة من صلى عليه او سلم من
الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي نا الحسين بن محمد نا ابو عمر الحافظ
نا ابن عبد المؤمن نا ابن داسة نا ابو داود نا ابن عوف نا المقرئ نا حيوة
عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة رضه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم على الا رد الله على رو حي
حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال
رسول الله عليه السلام قال من صلى على عند قبري سمعته ومن صلى على نائيا
بلغته وعن ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي
السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه
يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي على الا عرضت صلوته
على حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه السلام حيثما كنتم فصلوا على فان صلو تكم
تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم
ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي اذا
دخلت المسجد فسلم على النبي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي
عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا على حيث كنتم فان صلوتكم تبلغني حيث
كنتم وفي حديث اوس اكثروا على من الصلوة يوم الجمعة فان صلوتكم معروضة
على وعن سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول



يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم
قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اكثروا من الصلوة على في الليلة الزهراء واليوم الازهر
فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء وما من مسلم
يصلي على الا حملها ملك يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول
كذا وكذا فصل في الاختلاف في الصلوة على غير النبي وسائر الانبياء
عليهم السلام قال القاضي وفقه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلوة
على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي الصلوة على احد الا النبيين
وقال سفين يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب
مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد عليه السلام وهذا
غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره الصلوة
على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست
اخذ بقوله ولا باس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث
ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي الصلوة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى آله
قالوا واما بنده عن ابن عباس لغة والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم
والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال الله تعالى
هو الذي يصلي عليكم وملئكته الآية وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم
بها وصل عليهم الآية وقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم
قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلوة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه
وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل اهل بيته وقيل الاتباع والرهط

والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة
وفي رواية انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي ويجيء على
مذهب الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلوته على النبي
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض
ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو الصلوة على محمد نفسه وهذا مثل قوله
عليه السلام لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود وفي
حديث ابي حميد الساعدي في الصلوة اللهم صل على محمد وآله وازواجه وذريته
وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر
ذكره مالك في الموطا من رواية يحيى الاندلسي وفي ابن وهب عن انس بن
مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات
قوم ابرار الذين يقومون الليل ويصومون بالنهار قال القاضي والذي ذهب
اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله وروي عن ابن عباس
واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم
بل هو شيء يختص به الانبياء توقيرا لهم كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه
والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره وكذلك يجب تخصيص النبي صلى الله
عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلوة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما امر
الله به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران
والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
وقال والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا
في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة والمتشيعة في
بعض الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله



الله عليه وسلم في ذلك ايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب
مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلوة على الآل والازواج
مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص و
صلوة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء و
المواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء
له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام ابي المظفر الاسفرا ئني
من شيوخنا فصل في حكم زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره
وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام سنة من سنن
المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر قال النبي صلى الله
عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري
وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكانما
زارني في حيوتي وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي وقد اختلف في
معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله عليه السلام لعن الله زوارات
القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار
قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل
من المزور وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عاما وقد
ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى وعندي
ان منعه وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا
النبي لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله

على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه
بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم قال اسحاق بن ابراهيم
الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلوة
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره
ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند اليه وينزل
جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار
بذلك كله وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف
عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبي
ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك
يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر بن
عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد من
الشام قال بعضهم رايت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف
فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف
قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف
ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا
ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي قال
ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل
الذي في القبلة عند القبر على راسه قال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رايته
مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر
السلام على ابي حفص ثم ينصرف وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان

يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي وعلى ابي بكر وعمر وعند
ابن القاسم والقعنبي ويدعو لابي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول
المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على
ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو للنبي بلفظ الصلوة ولا — لابي بكر
وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول
بسم الله وسلام على رسول الله السلام علينا من ربنا وصلى الله
وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني
من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها
ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتساله تمام ما خرجت اليه والعون
عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزاتك وفي الروضة افضل وقد
قال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة
من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم
على ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل
والنهار ولا تدع ان تاتي مسجد قباء وقبور الشهداء قال مالك في كتاب محمد
ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك
قال محمد واذا خرج جعل اخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا
وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبي صلى الله
عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى
فيسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسالك من فضلك وفي

اجرني اللهم احفظني من الشيطان وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون
اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا
مثل ذلك وعن فاطمة ايضا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله
على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك
ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله
عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج ح
منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا بأس
لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون
من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا
في الجمعة او في الايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة
فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه
الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون
ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القاسم ورأيت اهل المدينة
اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي قال الباجي ففرق
بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون
بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا
يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا

۱۲۹

لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر
لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع
قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب مواضع التنفل فيه
مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة فالتقدم
الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب الي من التنفل في البيوت فصل فيما
يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه
وفضله وفضل الصلوة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة
ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم
فيه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو
قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم وعن ابن
عباس انه مسجد قباء حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه قال نا الحسين
بن محمد الحافظ نا ابو عمر النمري نا ابو محمد بن عبد المؤمن نا ابو بكر بن داسة نا
ابو داود نا مسدد نا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام
ومسجدي والمسجد الاقصى وقد تقدمت الآثار في الصلوة والسلام على النبي صلى الله
عليه وسلم عنده وحول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من
الشيطان الرجيم وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضه صوتا في المسجد فدعا
بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من ها القر ثين
ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد
برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره قال القاضي حكى ذلك

حكاه القاضي اسمعيل في المبسوط في باب فضل مسجد النبي عليه السلام والعلماء
كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل قال
محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما
يخلط عليهم صلوتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت
بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة عنه عليه السلام
صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي اختلف
الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب
مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث
ان الصلوة في مسجد الرسول افضل من الصلوة في سائر المساجد بالف صلوة الا
المسجد الحرام فان الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلوة فيه
بدون الالف واحتجوا بما روى عن عمر بن الخطاب صلوة في المسجد الحرام خير من مائة
صلوة فيما سواه فتأتي فضيلة مسجد الرسول عليه بتسعمائة وعلى غيره بالف وهذا
مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك
واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن
وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء
في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة في المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث ابن
الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلوة في المسجد الحرام
افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلوة وروى قتادة مثله فيأتي فضل
الصلوة في المسجد الحرام على هذا على الصلوة في سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف
ان موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث
مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي

الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما هو في صلوة الفرض وذهب مطرف من
اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان
خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة و
غيرها حديثا نحوه وقال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض
الجنة ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث
آخر منبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد
بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روى ما بين حجرتي ومنبري
والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما
روى بين قبري ومنبري قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني
الروايات ولم يكن بينهما خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري
على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو الظاهر والثاني ان
يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال
الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة
من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلوة
فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني ان تلك
البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي وروى ابن عمر و
جماعة من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لأوائها
وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة وقال فيمن يخرج عن المدينة
والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع
طيبها وقال لا يخرج احد عن المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروى
عنه عليه السلام من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة

لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين يوم القيمة وعن
ابن عمر من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت
بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة الى قوله آمنا قال بعض
المفسرين آمنا من النار وقيل كان يامن من الطلب من احدث حدثا و
لجا اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا
على قول بعضهم وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه ان
كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض
البدن فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى
فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره
على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك
من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام ما من احد
يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه
عليه السلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
وحشر يوم القيمة من الآمنين قرات على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله حدثك
ابو العباس العذري قال نا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي نا الحسن بن
رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت
الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت
ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشيء
في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس انا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال عمرو بن
دينار وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس



عباس الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي قال الحميدي وانا فما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس
وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب
لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن
رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي
من امر الآخرة قال العذري وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا فقد دعوت الله
فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي
بقيتها قال القاضي ابو الفضل وذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان لم
تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق
للصواب برحمته القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل
او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله
تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل الآية وقال
ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان
الطعام وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الآية فمحمد صلى الله
عليه وسلم وسائر الانبياء من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق
الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم وقال الله تعالى ولو جعلناه ملكا

لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم اذ لا
تطيقون مقاومة الملك ومخالطته ورؤيته اذا كان على صورته
وقال قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه
او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء و
الرسل فالانبياء والرسل وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم
اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه
وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة
باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام
والموت والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة
باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملأ الاعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة
من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية
اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن
الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو
كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات
البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة
الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة كما قال
عليه السلام لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن
اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي
وقال اني لست كهيئتكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة عن
الآفات مطهرة من النقائص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي بمضمونها كل

بين كل ذي همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما نأتي به بعد هذا في الباب
بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية
والكلام في عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله عليهم قال القاضي
ابو الفضل رضه اعلم ان الطوارئ من التغيرات والآفات على آحاد البشر
لا يخلو ان تطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام
او تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم
رح المشايخ بتفصيله الى ثلثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح
وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في
هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز على
جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع
على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى
غير الاختيار كما سنبينه ان شاء الله فيما نأتي به من التفاصيل فصل في
حكم عقد قلب النبي من وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك توفيقه ان ما تعلق
منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان به وبما اوحي اليه فعلى
غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك
او الشك او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين
هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون في عقود
الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابراهيم عليه السلام قال بلى و
لكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابراهيم في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى و
لكن اراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحياء فحصل له العلم
مبهم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني ان ابرا

عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابته دعوته بسؤال ذلك
من ربه ويكون قوله اولم تؤمن اي تصدق بمنزلتك وخلتك واصطفائك بك
الوجه الثالث انه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة وان لم يكن في الاول
شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك
على الضروريات ممتنع ويجوز في النظريات فاراد الانتقال من النظر والخبر
الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة
ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور
اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت
طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال
على طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه
الامنية الوجه السادس انه اري من نفسه الشك وما شك ولكن ليجاوب
ويزداد قربه وقوله نبينا عليه السلام نحن احق بالشك من ابرهيم نفي لان
يكون ابرهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم اي
نحن موقنون بالبعث واحياء الله الموتى فلو شك ابرهيم لكنا اولى با
لشك منه اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك او
على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابرهيم على اختبار حاله او
زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الآيتين فاحذر ثبت الله قلبك
ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من اثبات
شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه
جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي ولم يسئل ونحوه عن ابن جبير والحسن



وحكي قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اشك ولا اسئل وعامة المفسرين
على ان هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت
في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل قوله قل
يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الآية وقيل المراد بالخطاب العرب
وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب
له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير
قال بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله
وهو عليه السلام كان يكذبه فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن كذب به
فهذا كله يدل ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الآية قوله الرحمن فسئل به
خبيرا المأمور ههنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسئل النبي والنبي عليه السلام
هو الخبير المسئول لا المستخبر السائل وقيل ان هذا الشك الذي امر غير
النبي بسؤال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه من اخبار الامم لا فيما
دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسئل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى
الله عليه وسلم قاله القتيبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف
الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ اجعلنا من دون الرحمن الى آخر الآية
على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم
ان يسأل الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا من ان
يحتاج الى السؤال فروي انه قال لا اسأل قد اكتفيت قاله ابن زيد و
قيل سل امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد و
السدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلامه بما بعثت به

الرسل وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم
في قولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين
آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين
اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شككه فيما
ذكر في اول الآية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترى
يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الآية افغير الله ابتغي
حكما الآية وان النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو تقرير كقوله أأنت قلت مخاطب به غيره
للناس اتخذوني وامي الهين وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في
شك فسل تزدد طمأنينة وعلما الى علمك وقيل ان كنت تشك فيما
شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك و
حكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما انزلنا فان
قيل فما معنى قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة
التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عائشة معاذ الله ان تظن ذلك الرسل
بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر
من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عائد
على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي
وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل
بالك من شاذ التفسير بسواه بما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء
وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدأ الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت
على نفسي ليس معناه الشك فيما آتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي
ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا



هذا على ما ورد في الصحيح انه قال بعد لقاء الملك او يكون ذلك قبل لقائه
الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجائب وسلم
عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث
ان ذلك كان اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك تأنيسا له
عليه السلام لئلا يفجأه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حالة بنية
البشرية وفي الصحيح عن عائشة اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه
الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى
شيئا وثمان سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحاق عن بعضهم ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وانا نائم فقال اقرأ فقلت
ما اقرأ وذكر نحو حديث عائشة في غطه له واقرائه اقرأ باسم ربك السورة
قال فانصرف عني وهببت من نومي كانما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي
من شاعر او مجنون قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق
من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا
ينادي من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت رأسي فاذا جبريل
على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله لما قال وقصده ما قصد
انما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام وقبل اعلام الله له بالنبوة واظهاره
واصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه عليه السلام قال
لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون
هذا الامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي عليه السلام قال لخديجة اني اسمع

صوتا وارى ضوءا واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في
بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظ يفهم منها معاني
الشك في تصحيح ما رآه وانه كان كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك واعلامه
اياه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا يصح طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له ولقاء له
الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه وقد روى ابن اسحاق
عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين
قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت
له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال اما الآن فلا وحديث خديجة
واختبارها امر جبريل بكشف رأسها الحديث انما ذلك في حق خديجة لتحقق
صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي يأتيه ملك ويزول
الشك عنها الا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر من حاله
بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام
عن ابيه عن عائشة ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك وفي حديث
اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل
تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها
فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث الى آخره وفيه فقالت ما هذا شيطان ان
هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وآمنت به فهذا يدل انها مستثبتة بما فعلته
لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا وقول معمر في
فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا
كي يتردى من رؤس شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر
عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبي



النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم
مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما احرجه
من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم
يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد
الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن النبي صلى الله
عليه وسلم واتفق رأيهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه
وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او
خاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان يكون عقوبة من ربه ففعل
ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار
يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب
وقول الله في يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه قال
مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه
بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر
عليه بالتشديد وقيل يؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه افظن
ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي ان يجهل صفة
من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه
لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله
معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل مستحييا
من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض
الملوك فيما امره به من التوجه لامر امره الله به على لسان نبي آخر فقال له
يونس غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس

ابن ر

ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الآية
بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه
ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه
ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى
قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي طريق
في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين
وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل اصل الغين في هذا ما يغشى القلب
ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال
غيره والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي
يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على
قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه
وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين
اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة
الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة
ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء
الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان
صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة
وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همته وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه
هنالك ارفع حاليه رأى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي
حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى وجوه الحديث
واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب



فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه
وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما
سيأتي وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن
قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه في حال
سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته
عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون
الغين هنا على قلبه السكينة التي تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه
ويكون استغفاره عليه السلام عندها اظهارا للعبودية والافتقار وقال
ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار قال غيره
ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة
حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال
في ملازمة العبادة افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة
يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على قلبي في
اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قيل فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام
فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم انه لا
يلتفت في ذلك الى قول من قال في آية نبينا عليه السلام لا تكونن ممن يجهل
ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي آية نوح لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله
حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك
لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين
كما قال اني اعظك وليس في آية منهما دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم

عن الكون عليها فكيف وآية نوح قبلها فلا تسألني ما ليس لك به علم فحمل ما
بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد تجوز اباحة
السؤال فيه ابتداء فنهاه الله ان يسأله عما طوى عنه علمه واكنه من
غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه
ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك امر نبينا في الآية الاخرى
بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل
بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد اي فلا
تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال مثله في القرآن كثير فبهذا
الفصل وجب القول بعصمة الانبياء منه بعد النبوة قطعا فان قلت
فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى اذا
وعيد الله لنبينا عليه السلام على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت
ليحبطن عملك الآية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
الآية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة الآية وقوله لاخذنا منه باليمين
وقوله وان تطع من في الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشاء
الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله اتق الله
ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك انه عليه السلام
لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك به ولا
يتقول على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين
لكن يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم
يكن بهذه السبيل فكأنه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك
من الناس كما قال لموسى وهارون لا تخافا لتشتد بصائرهم في الابلاغ و
اظهار



واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس واما قوله
ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة
فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله
وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال ان
تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله فان يشاء الله يختم على قلبك لئن اشركت
ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله
عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم عنهم
والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم
الآية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين فصل واما عصمتهم
من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل
النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت
الاخبار والآثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم
على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة
كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل
احد من اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل
ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر
عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا بكل ما افترته
وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا
الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه
بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين و
بتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع

واقطع في الحجة من توبيخه لهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم
من قبل في اطباقهم عن الاعراض عنه وليس على انهم لم يجدوا سبيلا اليه
او لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عنهم عند تحويل القبلة وقالوا
ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي
القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
الآية وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه
قال فطهره الله في الميثاق وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق ف
النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من
الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه
جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة صغيرة وقال هذا حظ الشيطان
منك ثم غسله وملأه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبداء ولا يشبه
عليك بقول ابراهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن
الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم
الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا
عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي قال
الزجاج قوله هذا ربي على قولكم كما قال اين شركاءي اي عندكم ويدل على انه
لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ قال
لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي
لاكونن من القوم الضالين قيل انه ان لم يؤيدني بمعونته اكون مثلكم في

١٢٨

في ضلالكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو معصوم في الازل
من الضلال فان قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله
كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود
وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي هذه
اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث
الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل كذلك ومثله قول الشاعر فعادا
بعد ابوالا وما كانا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا
فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها
قاله الطبري وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك
للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن
شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال ههنا التحير ولهذا كان عليه السلام
يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام قال
معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم
تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى اي
بين امرك بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة
وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي
لك في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرا الحسن بن علي ووجدك
ضال فهدى اي اهتدى بك قال ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي
والضال المحب كما قال انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا
ههنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله انا لنراها

في ضلال مبين اي محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل
اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الآية وقيل ووجدك لم يعرفك
احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا قال من المفسرين
فيها ضالا عن الايمان وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من
الضالين اي من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الازهري
معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا
كما قال تعالى ان تضل احديهما فان قلت فما معنى قوله ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان فالجواب ان السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي
ان تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي نحوه قال
ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام قال فقد كان قبل مؤمنا بتوحيده
ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وكذلك
الحديث الذي يرويه عثمان بن ابي شيبة بسنده عن جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول
لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الآخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام
الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع
او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني يقال ان عثمان وهم في اسناده والحديث
بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم
خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الي الاصنام وقوله في الحديث الآخر الذي
روته ام ايمن حين كلمه عمه وآله في حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه
بعد كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم
تمثل لي شخص ابيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا وقوله



في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى
اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات
النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما
ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسألك عنه
فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق الله
له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف
هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام فصل قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
قد بان بما قدمناه عقود الانبياء في التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم
في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها
مملوءة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم بامور الدين
والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتامل ما قلناه
وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا في الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب
ما ينبه على ما وراءه الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها
بامر الدنيا فلا يشترط في حق الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء
ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه اذ همتهم متعلقة بالآخرة
وانبائها وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل
الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
كما سنبين هذا في الباب الثاني ان شاء الله ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا
من امر الدنيا فان ذلك يؤدي الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل
قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح
دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال

الانبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة
واما ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي الا العلم به
ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل عنده ذلك عن وحي
من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له
العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول
بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة
اني انما اقضي بينكم برايي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات وكقصة اسرى بدر
والاذن للمتخلفين على راي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده
الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه لا على القول
بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الاخر بان
الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطا في الاجتهاد في
الشرعيات ولان القول في تخطئة المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع و
نظر النبي واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد
عليه صلى الله عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية فقد
كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها عنده
اما بوحي من الله او اذن ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان
ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده عليه السلام
وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل و
بالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ لا
تصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات والارض
وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى وامور الاخرة واشراط الساعة



الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان ويكون مما لم يعلمه الا
بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه لا ياخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب
بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان
كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله
ولا خطر على قلب بشر ولا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول موسى للخضر
هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم اسالك
باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسالك بكل اسم سميت به نفسك
او استاثرت به في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال
زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته
تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي في التوحيد والشرع والمعارف
والامور الدينية فصل واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي من الشيطان
وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس وقد انا القاضي
الحافظ ابو علي رحمه الله قال نا ابو الفضل بن خيرون العدل نا ابو بكر البرقاني وغيره
نا ابو الحسن الدارقطني نا اسمعيل الصفار نا عباس الترقفي نا محمد بن يوسف نا
سفين عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن
وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله تعالى اعانني تي
عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يامرني الا بخير وعن عائشة بمعناه روي
فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي
فاسلم يعني القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يامر الا
بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي ابو الفضل رضه

فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني آدم فكيف بمن بعد منه
ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين
له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ
يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته فاخذه النبي صلى الله
عليه وسلم واسره ففي الصحاح قال ابو هريرة عنه عليه السلام ان الشيطان
عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلاة فامكنني
الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون
اليه فذكرت قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا الآية فرده الله
خاسئا وفي حديث ابي الدرداء عنه عليه السلام ان عدو الله ابليس جاء
بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وذكر
تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا
يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك في حديثه في الاسراء وطلب
عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره في الموطا ولما
لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش
في الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي
ومرة اخرى في غزوة يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الآية ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة
وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه ضره وشره وقد قال عليه السلام ان
عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في
الحجاب وقال عليه السلام حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك
ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فان قلت فما



معنى قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية
فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال
واما ينزغنك اي يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فا
ستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركك والنزغ ادنى الوسوسة
فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان
من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ
منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض
له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه الآية غير هذا وكذلك لا يصح ان
يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة
ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي ان ما يأتيه
من الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان
يظهره لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى
قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته الآية فاعلم ان للناس في معنى هذه الآية اقاويل منها السهل
والوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان
التمني ههنا التلاوة والقاء الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من
امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير
ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله وينسخه
ويكشف لبسه ويحكم آياته وسيأتي الكلام على هذه الآية بأشبع من هذا
ان شاء الله وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال بتسلط الشيطان

على ملك سليمان وغلبته وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان
مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي ولد له وقال ابو محمد مكي
في قصة ايوب وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد
ان يتاول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك
الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقيل ان الذي اصابه الشيطان
ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه
الا الشيطان وقوله عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه السلام
حين نام عن الصلوة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان وقول موسى
عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد
في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل
بالشيطان او فعله كما قال تعالى طلعها كانه رؤس الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم
فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم
تثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه
والمروي انه انما نبئ بعد موت موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل
نبوته بدليل القرآن وقصة يوسف قد ذكرنا انها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون
في قوله فانساه الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد
صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر للملك شان يوسف عليه السلام
وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع
بوساوس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما ما ينسيهما ما من امور معاد
نسيا واما قوله عليه السلام ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا
وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله



بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدى الصبي حتى نام فاعلم
ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا
ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلوة واما
ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلوة به فهو
دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه و
ارتفاع اشكاله فصل واما اقواله عليه السلام فقامت الدلائل الواضحة
بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه
من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا ولا سهوا وغلطا
اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق
فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط في
ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني ومن قال بقوله
ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي لا من
مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف
بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد
على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ الشريعة و
الاعلام بما اخبر عن ربه وما اوحاه اليه من وجه لا على وجه العمد ولا على غير
عمد ولا في حالي الرضى والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو
قلت يا رسول الله اكتب كلما اسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال
نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا
فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا
وان المعجزة قائمة مقام قول الله صدقت فيما تذكره عني وهو يقول انه

رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق وما اتا كم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب
خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان ولو جوزنا الغلط والسهو لما تميز
لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة
من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا
واجماعا كما قاله ابو اسحاق **فصل** وقد توجهت هنا لبعض الطاعنين سؤالات
منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا سورة والنجم وقال
افرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق د
العلى وان شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى **وفي** رواية لترتجى وانها لمع الغرانيق
العلى **وفي** اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد
وسجد المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على آلهتهم **وما** وقع في بعض الروايات
ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى
ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه **وفي** رواية اخرى الا ينزل
عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل جاءه فعرض عليه السورة
فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية وقوله
وان كادوا ليفتنونك **فاعلم** اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا
الحديث مأخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما المأخذ الاول
فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند
سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل



بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم **وصدق** القاضي بكر بن
العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق
بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده و
اختلاف كلماته فقائل يقول انه في الصلوة واخر يقول قالها في نادي قومه
حين انزلت عليه السورة وآخر يقول قالها وقد اصابته سنة وآخر يقول
بل حدث نفسه فسها وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله
عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك وآخر يقول بل اعلمهم الشيطان
ان النبي صلى الله عليه وسلم قراها فلما بلغ النبي ذلك قال والله ما هكذا انزلت الى
غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين و
التابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها
ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
بمكة وذكر القصة **قال** ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية
بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره
سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي
لا يوثق به ولا حقيقة معه **واما** حديث الكلبي فما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره
لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله **والذي** منه في الصحيح ان النبي
صلى الله عليه وسلم قرا والنجم وهو بمكة فسجد المسلمون والمشركون والجن والانس
هذا توهينه من طريق النقل **فاما** من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة

على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان
ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان
ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم
ان من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل عليهما السلام وذلك كله
ممتنع في حقه عليه السلام او يقول ذلك النبي من قبل نفسه عمدا وذلك كفر
او سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته عليه السلام
من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه عليه ما يلقيه
الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل او ان يتقول على
الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل
الآية وقال اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الآية ووجه ثان
وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي
لكان بعيد الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف
والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد
المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متامل فكيف بمن رجح
حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث انه قد
علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من
المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل
فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض
ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه القصة شيئا سوى
هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين
الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى



حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية
ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد
من هذه الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها
بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض
شياطين الانس او الجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على
ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت
وان كادوا ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه
لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد
يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتى
لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على
الركون والافتراء بمدح آلهتهم وانه قال عليه السلام افتريت على الله
وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا
صحة له وهذا مثل قوله في الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت
طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء
وقد روي عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد
سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب واكاد اخفيها ولم يفعل قال القشيري
القاضي ولقد طالبه قريش وثقيف اذ مر بآلهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه
الايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل قال ابن الانباري ما قارب
الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير اخر ما ذكرناه من نص الله
على عصمة رسوله ترد سفسافها فلم يبق في الآية الا ان الله امتن على رسوله
بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك

تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية وأما أن نأخذ الحديث فهو
مبني على تسليم الحديث لو صح وقد أعاذنا الله من صحته ولكن على كل من
حال فقد أجاب عن ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين
فمنها ما روى قتادة ومقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم أصابته سنة
عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح
إذ لا يجوز على النبي مثله في حالة من أحواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا
يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع
العمد والسهو وفي قول الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال
ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن
قال وسها فلما أخبر بذلك قال إنما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح أن
يقوله عليه السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل
لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله أثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار
كقول إبراهيم عليه السلام هذا ربي على أحد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد
السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع إلى تلاوته وهذا ممكن مع بيان
الفصل وقرينة تدل على المراد وأنه ليس من المتلو وهو أحد ما ذكره القاضي
أبو بكر ولا يعترض على هذا بما روي أنه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها
غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل
الآي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك
السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله
عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله



١٣٥

عليه وسلم وأشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة
قبل ذلك على ما أنزلها الله وتحققهم من حال النبي في ذم الأوثان وعيبها
ما عرف منه ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الإشاعة
والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الآية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب إلا أماني أي تلاوة
وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته
وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو إذا قرأ فينتبه
لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية أنه حدث نفسه وقال إذا تمنى
أي حدث نفسه وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة
إنما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الألفاظ وزيادة ما ليس من القرآن
بل السهو عن إسقاط آية منه أو كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه
ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر
في تأويله أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى فإن سلمنا
عنهن القصة قلنا لا يبعد أن هذا كان قرآنا والمراد بالغرانقة العلى وأن شفاعتهن
لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة أنها الملائكة وذلك
أن الكفار كانوا يعتقدون الأوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم
ورد عليهم في هذه السورة بقوله ألكم الذكر وله الأنثى فأنكر الله هذا من قولهم
ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على أن المراد بهذا الذكر
آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم وألقاه إليهم نسخ الله
ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان
بهما سبيلا للتلبيس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في



انزل الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخة حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء
وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض
والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم
انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الآية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما قرا هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف
الكفار ان يأتي بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا تلاوة
النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا
ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم
وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا من قبلك الآية وبين للناس
الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن واحكم آياته ودفع لبس العدو
كما ضمنه تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر الآية ومن ذلك ما روي من قصة
يونس عليه السلام انه وعد قومه العذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب
فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر
من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه
انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم
ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم
العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب
الخزي الآية وروي في الاخبار انهم راوا دلائل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود
وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى
ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم



ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث
اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي
حديث آخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا
فيقول اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا
فيقول اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب
للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا ما
كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه
الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن
ريبا اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف
بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل
يشتغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين
مفتر على الله ورسوله ولم يرو عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه
شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون
بآيات الله واولئك هم الكاذبون ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح
ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط
عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس
فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم كذلك فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول
قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي
وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته
كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدا الكلام

الحسن الى ما يتم به لا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة
وكذلك قوله عليه السلام ان كلا صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من
مقاطع الآي وجهان وقرئ ان انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى
احديهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها
للنبي كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم
ونسخ ما نسخ كما وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فانك
انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في
غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف
ننشزها وننشرها ويقضي الحق ويقص الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب
للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون
فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القرآن فيصف الله ويسميه
في ذلك كيف شاء **فصل** هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل
البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف
الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا
وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته
ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين
الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره
في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا
تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا



ام لا **ولما** احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول
الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك
اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم فقال له عمر
كذبت يا عدو الله **وايضا** فان اخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها
مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه السلام لغلط في قول
قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام
ورجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا
وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب كقوله والله لا احلف على
يمين فارى غيرها خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني **وقوله**
انكم تختصمون الي الحديث **وقوله** اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين
كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب الذي بعده ان شاء الله مع اشباهها
**وايضا** فان الكذب متى عرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو على
اي وجه كان استريب في خبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس
موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم و
الغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته **وايضا** فان تعمد الكذب في
الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه
عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل بصاحبها
ويزري بقائلها لاحقة بذلك **واما** فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناها من
الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة
عن قليله وكثيره سهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين
وتصديق ما جاء به النبي وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه

مناقض للمعجزة فنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول في
وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز
ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب
قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري
ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم وانظر احوال اهل عصر النبي صلى الله
عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه
وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا
صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني من
اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه فصل فان قلت فما معنى قوله عليه السلام
في حديث السهو الذي نا به الفقيه ابو اسحق ابراهيم بن جعفر قال نا القاضي ابو
الاصبغ بن سهل قال نا حاتم بن محمد قال نا ابو عبد الله بن الفخار نا ابو عيسى نا عبيد الله
نا يحيى بن يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد انه
انه قال سمعت ابا هريرة يقول صلى الله عليه وسلم صلوة العصر فسلم في ركعتين
فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلوة ام نسيت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية الاخرى ما قصرت وما نسيت
الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالتين وانهما لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال ذو
اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء
في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف
وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول
البلاغ الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على
مذهب من يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا عامد



عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت
ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله
وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال
وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله
عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا
واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكأنه
قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا وجه ثان ان قوله
ولم انس راجع الى السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم
انه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد وجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب
اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان
بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله
ما قصرت الصلوة وما نسيت هذا ما رأيت لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل
للفظ على بعد بعضها وتعسف الآخر منها قال القاضي ابو الفضل رضه والذي اقول
ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذي
نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا وكذا
ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث الآخر لست انسى ولكن انسى
فلما قال له السائل اقصرت الصلوة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه
هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل غيره
فتحقق انه نسي واجري عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر و
كل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه آخر
استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم

كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة
وآفة والسهو انما هو شغل بال قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلوته
ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها
لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت ولا نسيت خلف
في قول واما قصة كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة في الحديث انها كذبات
الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنتان قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا
وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن
الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة
عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم اي ان كل
مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم
بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل
بل كانت الحمى تاخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه
كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد
بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك
وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف
ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر
معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله
وقدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية فانه علق خبره بشرط نطقه
كأنه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا
ولا خلف فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث وقال فانك اختي في الاسلام
وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبي صلى

الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلث كذبات
وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة
الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها
خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه السلام من مواخذته بها واما الحديث كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو
ستر مقصده لئلا ياخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع
آخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او
وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف
فان قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم
فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم الحديث وفيه قال بل عبدنا بمجمع البحرين اعلم
منك وهذا خبر قد انبأ الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من
بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على
علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله على ظنه و
معتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفاء تقتضي ذلك فيكون
اخباره بذلك ايضا على اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله
انا اعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة
ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه كما
القصص المذكورة في خبرهما فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على
الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه
فيما قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة
لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدي

به بينه من لم يبلغ لحاله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من
مدح الانسان لنفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان
نزه عن هذه الرذائل الانبيا فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا من
عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام تحفظا من
مثل هذا مما قد علم انا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القائلين
بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي واما الانبيا
فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن قال
انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي آخر وهذا يضعف لانه ما
علمنا انه كان في زمان موسى نبي غيره الا اخاه هارون وما نقل احد من اهل
الاخبار في ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم
وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة خضر ولهذا
قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم
فيما دفع اليه من موسى وقال آخر انما الجئ موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم

فصل

واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا
الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه
من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبيا من الفواحش و
الكباير الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب
القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره
الاستاذ ابو اسحاق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة
والتقصير في التبليغ لان كل ذلك تقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على
ذلك من الكافة واما الصغاير فجوزها جماعة السلف وغيرهم على الانبيا

١٤٠

الانبيا وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين و
المتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف
وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين
وذهبت طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من
الصغاير كعصمتهم من الكباير قالوا لاختلاف الناس في الصغاير وتعيينها من
الكباير واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو
كبيرة وانه انما سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري في اي
امر كان يجب كونه كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال
ان في معاصي الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكباير ولا يكون لها
حكم مع ذلك بخلاف الكباير اذا لم يتب منها فلا يحبطها شي والمشية في العفو
عنها الى الله وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء
وقال بعض ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار
الصغاير وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكباير ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة و
اسقطت المروة واوجبت الازرا والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبيا
اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه
والانبيا منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من المباح فادى الى
مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من
مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغاير بالمصير الى
امتثال افعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك
من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند
بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك

التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول
اكثر اهل العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر
الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم
الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة
في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم
اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية
ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل
على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز
الصغائر ومن نفاها عن نبينا عليه السلام مجمعون انه لا يقر على منكر من قول
او فعل وانه متى رأى شيئا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه
فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ
تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر او الندب على الاقتداء بفعله
ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا
الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء
باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع و
احتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس
واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة والعادة بقوله رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعله وقال هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صائم وقالت عائشة
محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب صلى الله عليه وسلم
على الذي اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله
واعلمكم بحدوده والآثار في هذا اعظم من ان نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها

مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداءهم بها ولو جوزوا عليه
المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما
انكر عليه السلام على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات فجائز
وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وايديهم كايدي غيرهم
مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم
من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الآخرة لا يأخذون
من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح
دينهم وضرورة دنياهم وما أخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما
بينا منه اول الكتاب طرفا في خصال نبينا عليه السلام فبان لك عظيم
فضل الله على نبينا وعلى سائر انبيائه عليهم السلام بان جعل افعالهم
قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية فصل وقد
اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون والصحيح
ان شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف
والمسألة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر
الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه السلام قبل ان يوحى اليه
هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول
الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام
الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين
بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر الى
ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان
ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى

ما ينقل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر من ذلك
جملة. وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون
متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة و
استناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر وقالت فرقة اخرى
بالوقف في امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء من ذلك اذ لم يحل الوجهين
منهما العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت
فرقة ثالثة انه كان بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف
بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة
فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم
فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها
مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة
ولا حجة لهم في ان عيسى آخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعده اذ لم
يثبت لنبي دعوة عامة الا لنبينا عليه السلام ولا حجة ايضا للآخر في قوله تعالى
ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولا للآخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
فمحمل هذه الآية على اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب
على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية
شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة
الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبياء
غير نبينا او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية
واما من مال الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله



اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي
فصل هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية
ويدخل تحت التكليف اما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان
في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة
عليه فاحوال الانبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء
ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم
الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه
اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا
الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي عليه السلام وعصمته من جوازه عليه
قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة
فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو
هذه العوارض عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث
السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحاق وذهب الاكثر
من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية
سهوا او عن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلوة
وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في
القول ومخالفة ذلك تناقضها فصل واما السهو في الافعال فغير مناقض
لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات
البشر كما قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني
نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه عليه السلام سبب افادة علم و
تقرير شرع كما قال عليه السلام اني لانسى او انسى لاسن بل قد روي لست انسى

النسي ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة
بعيدة عن سمات النقص واعراض الطعن فان القائلين بتجويز ذلك
يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون
حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الآخرين واما
ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله عليه السلام وما يختص به
من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء
الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه
وذلك بما كلفه من مقاسات الخلق وسياسات الامة ومعاناة
الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل
الندور كما قال عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا
شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو
والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه السلام جملة وهو مذهب
جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث
مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله فصل في الكلام على الاحاديث المذكور
فيها السهو منه عليه السلام وقد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه
السلام وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا
واجزنا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد
فيه ولنبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه
عليه السلام في الصلاة ثلثة احاديث اولها حديث ذي اليدين في السلام
من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث
ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث



الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن
به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر
على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه
وان النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا
قادح في التصديق وقد قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا
نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت
اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال عليه السلام اني لانسى او انسى لاسن قيل
هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب
ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى انا
او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اني انسى
في اليقظة وانسى في النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء
والسهو او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ
كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت
طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنبي
صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو في صلاته
ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج
بقوله في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا الكل
قالوا ان سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب
عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا
في حال ولا حجة لهم في قوله انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله اني لانسى

او النسي وقد اثبت احد الوصفين ونفى منافقة التعمد والقصد وقال انما انا
بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا اعظم من المحققين من ائمتنا وهو
ابو المظفر الاسفرائني ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين
في قوله اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي
لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي
او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلوة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها
ببعضها كما ترك الصلوة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو
عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات
الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلوة في
الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان
حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه عليه
السلام عن الصلوة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم
ان للعلماء في ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب
الاوقات وقد يندر منه غير ذلك ويصحح هذا التاويل قوله عليه السلام في
الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت علي نومة مثلها
قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده من اثبات حكم وتاسيس سنة
واظهار شرع وكما قال في الحديث الآخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان
يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما
روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم
يصلي ولا يتوضا وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه
من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ



اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث آخر فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم
نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضا وقيل لا ينام
قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية
الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام ان الله قبض ارواحنا
ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم
لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح فقيل في الجواب انه كان من شانه عليه السلام
التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك
بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير
النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه السلام عن القول نسيت وقد
قال عليه السلام اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني ولقد اذكرني
كذا وكذا آية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ
اما نهيه عن ان يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن اي ان
الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما
كان من سهو وغفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسى وقد قيل ان
هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى
خالقه والآخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام
لما اسقط من هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى
عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه
من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم
ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط
حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه لحفظه

الله كما به وتكليفه بلاغه **فصل** في الرد على من اجاز عليهم الصغاير والكلام
على ما احتجوا به في ذلك **اعلم** ان المجوزين للصغاير على الانبيا من الفقها
والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر
كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز
الكباير وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف
المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها
للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان
الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطا قولهم وصحة غيره وجب
تركه والمصير الى ما صح وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شا الله **فمن** ذلك قوله
لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر **و**
قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات **و** قوله ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك **و** قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم **و** قوله لولا كتاب
من الله سبق لمسكم فيما اخذتم فيه عذاب عظيم **و** قوله عبس وتولى ان جاءه
الاعمى الآية **وما** قص من قصص غيره من الانبيا **كقوله** وعصى آدم ربه فغوى
**و** قوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا الآية **و** قوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا
الآية **و** قوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين **وما** ذكر من قصة
داود **و** قوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى قوله
مآب **و** قوله ولقد همت به وهم بها **وما** قص من قصته مع اخوته **و** قوله عن موسى
فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم
في دعائه اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت **و** نحوه من ادعيته
عليه السلام وذكر الانبيا في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة **و** قوله انه



ليغان على قلبي فاستغفر الله **وفي** حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب
اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة **و** قوله تعالى عن نوح والا تغفر لي الآية
**وقد** كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون **وقال** عن
ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين **و** قوله عن موسى تبت اليك
**و** قوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر **فاما** احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان
قبل النبوة وبعدها **و** قيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور له **و**
قيل ما كان قبل النبوة وما تاخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر **و** قيل المراد
به امته عليه السلام **و** قيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري
واختاره القشيري **و** قيل ما تقدم لابيك آدم وما تاخر من ذنوب امتك
حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطا وبمثله والذي قبله يتاول قوله واستغفر
لذنبك وللمومنين والمومنات **قال** مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا
هي مخاطبة لامته **و** قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر الآية وبمآل المومنين في الآية الاخرى بعدها قاله ابن عباس
فمقصد الآية انك مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو كان **قال** بعضهم
المغفرة ههنا تبرية من العيوب **و** اما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك **فقيل** ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى
قول قتادة **و** قيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لانقضت
ظهره حكى معناه السمرقندي **و** قيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعبا الرسالة
حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي **و** قيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه

بك وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك ه
حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت
وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك
لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت
عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة
الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل
الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ
ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله
عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده
اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من
ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه
وحي فكيف وقد قال الله له فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع
عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا
بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا
يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم
يلزمك ذنبا قال الداودي روي انها تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل
اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى
بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى الآيتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله
عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء فكانه قال
ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي ه

١٤٦

لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب
لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد
بهذا النبي عليه السلام ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت
حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال
حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله سبق فاختلف
المفسرون في معنى الآية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا
بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم
بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد
هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا انكم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن
احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح
المحفوظ انها حلال لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له
لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل عليه السلام قد خير في
ذلك وقد روي عن علي رضه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم
يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤوا القتل وان شاؤوا
الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا
دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى
اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك
وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين
والى نحو هذا اشار الطبري وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل من السماء عذاب
ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه في
اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذابا

بجاسة عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر
عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا
يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص
فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك
وقال القاضي ابو بكر بن العلاء اخبر الله تعالى في هذه الآية ان تاويله وا
ما كتبه له من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في سرية
عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما
عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على
ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة
وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم ولكن الله تعالى اراد لعظم امر
بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في
اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى
كلامه واما قوله عبس وتولى الآيات فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل
اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان
لو كشف لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم
وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله
له لا معصية ومخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين
امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل
اراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام
واما قصة آدم عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية



بالمعصية وقوله وعصى آدم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد
اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن
زيد نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك
ولزوجك الآية قيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي الانسان
انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا
بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد
روي عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما
والمؤمن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا
للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند اكله
سكران وهذا فيه ضعف لان الله وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان
ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على
خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره
انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله وعصى آدم ربه فغوى
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان
وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تاول نهي الله عن
شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة
وقيل تاول ان الله لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى
وعصى آدم وقال فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه واني
نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسياتي الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر
الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس
في قصة يونس نص على ذنب وانما فيها ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه

وقيل إنما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارًّا من نزول العذاب وقيل
بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا ألقاهم بوجه كذاب
أبدًا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف
عن حمل أعباء الرسالة وقد تقدم الكلام أنه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه
نص على معصية إلا على قول مرغوب عنه وقوله أبق إلى الفلك المشحون قال
المفسرون تباعد وأما قوله إني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير
موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فإما أن يكون لخروجه عن قومه
بغير إذن ربه أو لضعفه عما حمله أو لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك
قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم وأضاف الظلم
إلى نفسه اعترافًا واستحقاقًا ومثل هذا قول آدم وحواء ربنا ظلمنا أنفسنا
إذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي أنزلا فيه وإخراجهما من الجنة
وإنزالهما إلى الأرض وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب أن يلتفت
إلى ما سطره فيها الأخباريون عن أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله
بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح و
الذي نص الله عليه قوله وظن داود أنما فتناه إلى قوله وحسن مآب وقوله
فيه أواب فمعنى فتناه أي اختبرناه وأواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير
أولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على أن قال للرجل انزل لي عن
امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي
ينبغي أن يعول عليه من أمره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل أحب بقلبه أن يستشهد
وحكى السمرقندي أن ذنبه الذي استغفر منه قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه
بقول خصمه وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود من ذلك ذهب أحمد بن



نصر وأبو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود وأوريا
خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وأما قصة يوسف وإخوته فليس على
يوسف منها تعقب وأما إخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على أفعالهم و
ذكر الأسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الأنبياء قال المفسرون يريد من
نبي من أبناء الأسباط وقد قيل إنهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار
الأسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا أرسله معنا غدًا
نرتع ونلعب وإن ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله أعلم وأما قول الله تعالى ولقد
همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحد ثين
أن هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله عليه السلام عن ربه إذا هم
عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه إذًا وأما على مذهب
المحققين من الفقهاء والمتكلمين فإن الهم إذا وطنت عليه النفس سيئة وأما
ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون
إن شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما أبرئ نفسي الآية أي ما
أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة
النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف
لم يهم وأن الكلام فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رأى برهان
ربه لهم بها وقد قال الله تعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال
تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الأبواب وقالت هيت
لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي الآية قيل في ربي الله وقيل الملك وقيل
هم بها أي بزجرها ووعظها وقيل هم بها أي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر إليها و
قيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء

يميل الى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت
هيبته كل من رآه عن حسنه واما خبر موسى مع قتيله الذي وكزه فقد
نص الله تعالى انه من عدوه قال كان من القبط الذين على دين فرعون
ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة موسى قال قتادة وكزه بالعصا
ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله
ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان
يقتل حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه يريد
بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة
وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء
قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت
واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد
من قولهم فتنت الفضة في النار اذا اخلصتها واصل الفتنة معنى
الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار ادى
الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم
عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما
لا يجب لانه ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه
من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة آدمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه
ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة
التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه بعد واعلمه الله انه
رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث اجوبة هذا
اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري وقد



وقد تاوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته
وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف واما قصة سليمان وما حكى
فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه
ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة امراة او
تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه
قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل قال
النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله اجمعين
قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه
وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على
ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل
عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم
وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه
الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على
مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله وان سئل لم لم يقل سليمان في القصة
المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة اسدها ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان
يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه وقوله هب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها
ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما سلط
عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل
اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من انبيائه
ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد

لانه واجب الموت لعيسى واختصاص محمد بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح
عليه السلام فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله
تعالى انا منجوك واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوى عنه من
ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله عليه انه ليس من اهله الذين وعده
بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه
عن مخاطبته فيهم فوخذ بهذا التاويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه
على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح فيما حكاه النقاش لا
يعلم بكفر ابنه وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما
ذكرناه من تاويله واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما
في الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك
نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث ان الذي اتى معصية
بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله
الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول برحله عنها
مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال
الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله
انما كان لاجل انها اذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها
من بقية النمل هناك ولم يات في كل هذا امرا نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما
اوحى الله اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم فصل فان قلت
فما معنى اذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف
المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر
في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفا رهم

واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب
ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء في الرفعة
والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما
يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به
غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اخذوا عليها
وعوتبوا بسببها او حذروا من المؤاخذة بها واتوها على وجه التاويل او
السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب
بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب
غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب
كل شيء اي آخره واذناب الناس رذالهم فكان هذه ادنى افعالهم و
اسوأ ما يجري من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم
بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه
في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما تكون
بالاضافة اليه هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار
سيئات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات وكذلك
العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو
او تاويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي التي
نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطأ ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت
امنيته وهذا يوسف عليه السلام قد اخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني
عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل انسي
النبي يوسف ذكر الله وقيل انسي صاحبه ان يذكره لسيده الملك

قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا الكلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال
ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا
لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم
يؤاخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق
لقلة مبالاته بهم في اضعاف ما اتوا به من سوء الادب وقد قال المحتج
للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان الانبياء يؤاخذون
بهذا مما يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم
اذا في هذا اسوأ حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المؤاخذة
في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون بذلك في الدنيا
ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم
له سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال
لداود فغفرنا له ذلك الاية وقال بعد قول موسى تبت اليك اني اصطفيتك
على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن مآب
وقال بعض المتكلمين زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة
كرامات وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من
البشر منهم او ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر
ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة
ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال
صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطاء لم يكن ما نص الله من
قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا عليه السلام وايضا
فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا



ولا خلاف لعصمة الانبياء من الكبائر فجوزتم من وقوع الصغائر
عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها اذا عندكم وخوف الانبياء
وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة
بافعال السهو والتأويل وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم
وتوبته وغيره من الانبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف
بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال عليه السلام وقد امن من المؤاخذة بما تقدم
وما تأخر افلا اكون عبدا شكورا وقال اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال
الحارث بن اسد خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام وتعبد لله
لانهم آمنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم ويستن بهم اممهم كما قال عليه السلام
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة والاستغفار
معنى آخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الرسل والانبياء
الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله تعالى
والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه بعد ان غفر له ما تقدم
وما تأخر من ذنبه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية وقال
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فصل قد استبان لك ايها الناظر
بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته وكونه على حالة
تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا
ولا بشيء مما قررناه من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا
وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نباه الله وارسله قصدا او غير قصد
واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة

وقطعاً وتنزيهه عن الكبائر اجماعاً وعن الصغائر تحقيقاً وعن استدامة
السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته
في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح يجب عليك ان تتلقاه باليمين
وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها
وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي او يجوز او يستحيل عليه لا يعرف صور احكامه
لا يأمن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان
يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل
من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار
ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين الذين رأياه ليلاً وهو معتكف في المسجد مع
صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن آدم
مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئاً فتهلكا هذه اكرمك الله
احدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلاً لا يعلم بجهله اذا سمع شيئاً
منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان السكوت اولى وقد
استبان لك انه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول
الفقه وتنبني عليها مسائل لا تنعد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة
منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل
كبير من اصول الفقه ولابد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في اخباره
وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله عمداً وبحسب
اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب
ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى
النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز



ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في
ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجترئ على سفك
دم مسلم حرام او يسقط حقاً ويضيع حرمة للنبي عليه السلام وبسبيل هذا
ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة
فصل في القول في عصمة الملائكة اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون فضلاء
واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما
ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء
مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم
عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وبقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون
وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وبقوله ان
الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الآية وقوله كرام بررة ولا يمسه
الا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص
للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا بآثار ذكرها اهل الاخبار والتفاسير
نحن نذكرها ان شاء الله بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله والصواب عصمة
جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل
مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا اشار ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام
في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء من
الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة
ههنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت
وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس في

خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء
لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا يوخذ بقياس و
الذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير
السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه
الله اول الآيات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت
القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات
ان شاء الله فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان
وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما
انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس
بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن قال الله تعالى
انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء
يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا كذا فانه
سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي
لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت
وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وما
انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن
تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما مأذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر
وانه امتحان من الله وابتلاء فكيف لا ننزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة
في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال
مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين و
اتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل وميكائيل اذ



ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله في ذلك ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما
رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرأ وما
انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن بن
ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان وتكون ما نفيا على
ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة
بكسر اللام شاذة فمحمل الآية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب
الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون وكرام بررة
ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه من قصة ابليس وانه كان من الملائكة
ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى آخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة
بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه
ابو الجن كما آدم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن
حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا و
الاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ وقد قال الله تعالى ما لهم
به من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا الله
فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له
من ذكره الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا يشتغل بها
الباب الثالث فيما يخصهم من الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض
البشرية قد قدمنا انه عليه السلام وسائر الانبياء والرسل من البشر وان
جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغيرات والآلام والاسقام
وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا

بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار
فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد
مرض عليه السلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه
الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه
وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ
ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار
الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من
الانبياء ما هو اعظم منه فقتلوا قتلا ورموا في النار ووشروا بالمياشير ومنهم
من وقاه الله ذلك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا
من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه
عند دعوته اهل الطائف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك
عنه سيف غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم
فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافى
وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم
وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا
بما يظهر من العجائب على ايديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون في محنهم تسلية لاممهم
ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ
والتغيرات المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة
بني آدم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة
بالملأ الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه السلام
ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي



ربي ويسقيني وقال لست انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر ان سره
وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الآفات التي تحل ظاهره من
ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منه شئ باطنه بخلاف غيره من البشر في
حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام
في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار انه كان محروسا
من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع
ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلام
قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله لست كهيئتكم اني ابيت
يطعمني ربي ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها من وصب و
مرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه
ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه **فصل** فان قلت
فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابي
بقراءتي عليه قال نا حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن خلف نا محمد بن احمد نا محمد بن يوسف نا
البخاري نا عبيد بن اسمعيل قال نا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه
عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشئ
وما فعله وفي رواية اخرى حتى كان يخيل اليه انه كان يأتي النساء ولا
يأتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال
النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم **فاعلم** وفقنا الله
واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به
لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع
والنبي عما يدخل في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل

يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته وأما ما ورد أنه كان
يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من
تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا
وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل
من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها
ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وأيضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر
من قوله حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن وقد قال سفين وهذا أشد ما يكون
من السحر ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه
فعله ولم يفعله وإنما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل إن المراد بالحديث أنه كان
يتخيل الشيء أنه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فيكون اعتقاداته كلها
على السداد وأقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة عن هذا
الحديث مع ما أوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها
مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل أجلى وأبعد من مطاعن ذوي الأضاليل
يستفاد من نفس الحديث وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن
المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينكر بصره ثم
دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم أتاه
ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى أنكر بصره
وقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما تسلط على ظاهره



ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما أثر في بصره و
حبسه عن وطء نسائه ويكون معنى قوله يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يا يأتيهن
أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا دنا
منهن أصابته أخذة السحر فلم يقدر على إتيانهن كما يعتري من أخذ
واعترض ولعله لمثل هذا أشار سفين بقوله وهذا أشد ما يكون من
السحر ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى أنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء
وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن أنه رأى
شخصا من بعض أزواجه أو شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما
يخيل إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في ميزه وإذا
كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل
لبسا ولا يجد به الملحد المعترض أنسا فصل هذه حاله في جسمه فأما أحواله
في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل
أما العقد منها فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه أو يكون
منه على شك أو ظن بخلاف أمور الشرع كما حدثنا أبو بحر سفيان بن العاص
وغير واحد سماعا وقراءة قالوا نا أبو العباس أحمد بن عمر قال نا أبو العباس
الرازي نا أحمد بن عمرويه نا ابن سفيان نا مسلم نا عبد الله بن الرومي
وعباس العنبري وأحمد المعقري قالوا نا النضر بن محمد قال نا عكرمة نا أبو النجاشي
قال نا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم
يأبرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا
كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم
بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر وفي رواية

الشيص انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث آخر انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني
بالظن وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر
اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه
من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى
ابن اسحاق انه عليه السلام لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا
منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل
هو الرأي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى نأتي ادنى ماء من
القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت
بالرأي وفعل ما قاله وقد قال الله تعالى وشاورهم في الامر واراد مصالحة بعض
عدوه على ثلث ثمر المدينة فاستشار الانصار فلما اخبروه برأيهم رجع عنه فمثل
هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها
يجوز عليه فيها ما ذكرناه اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وانما هي امور اعتيادية
يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي مشحون القلب بمعرفة الربوبية
ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن
هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة
الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام
من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في
البشر كما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب فصل واما ما يعتقده في احكام
البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح
من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل



ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع فمن
قضيت له من حق اخيه بشيء فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من
النار حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله نا الحسين بن محمد الحافظ نا ابو عمر نا ابو محمد نا
ابو بكر نا ابو داود نا محمد بن كثير نا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن
زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض
فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه عليه السلام على الظاهر وموجب
غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة
العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على
سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة
الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به
في افعاله واحواله ومقتضى قضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله
به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية
من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو اذا
في ذلك بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه
الامة فاجرى الله تعالى احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره
من البشر ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا
من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع
لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح
في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك لك
كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه

من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى
من رسول فيعلمه بما شاء او يستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يقصم
عروة من عصمته **فصل** واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره
وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه
من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى او غضب وانه معصوم منه صلى الله
عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض
الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما
لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي
من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته و
تأكيداً في تحبيبهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله
للمرأة التي سألته عن زوجها اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان
كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض وقد قال عليه السلام اني لامزح ع
ولا اقول الا حقاً هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة
الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضاً ولا يجوز عليه ان يأمر
احداً عن شيء وهو يبطن خلافه **وقد** قال عليه السلام ما كان لنبي ان تكون
له خائنة الاعين فكيف ان يكون له خيانة قلب **فان** قلت فما معنى اذاً
قوله تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك
عليك زوجك الآية **فاعلم** اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يأمر زيداً بامساكها وهو يحب تطليقه
اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي
بن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه

ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى
في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج
وطلاق زيد لها **وروى** نحوه عمرو بن فايد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي
صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي
اخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله بعد هذا وكان امر الله مفعولاً
اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره معها غير زواجه
لها فدل انه الذي اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه به تعالى في القصة ما كان على
النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الآية فدل انه لم يكن عليه حرج في الامر تعالى
**قال** الطبري ما كان الله ليؤثمه فيما احل مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله
سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان
ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما اعجبته
ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما
نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه
ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء **قال** القشيري وهذا اقدام عظيم من قائله
وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته
وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام وهو
زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها
لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال
لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك **وقال** ابو الليث
السمرقندي فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها
فهو ان الله اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى

في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها خشي قول الناس تزوج امرأة ابنه فأمره الله
بزواجها ليباح مثل ذلك لأمته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج
أدعيائهم وقد قيل كان أمره لزيد بإمساكها منعا للشهوة ورد النفس عن هواها
وهذا إذا جوزنا عليه أنه رآها فجأة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه
ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجأة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وأمر
زيدا بإمساكها وإنما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والأولى
ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه
القاضي القشيري وإن خشيته عليه السلام من الناس كانت من إرجاف
المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه
عن نكاح حلائل الأبناء كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات إليهم
فيما أحله له كما عتبه على مراعاة رضى أزواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما أحل
الله لك الآية كذلك قوله له ههنا وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقد
روي عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية
لما فيها من عتبه وإبداء ما أخفاه فصل فإن قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في
أقواله في جميع أحواله وأنه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا
صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته
عليه السلام الذي نا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال نا القاضي أبو الوليد قال نا أبو ذر
نا أبو محمد وأبو الهيثم وأبو إسحاق قالوا نا محمد بن يوسف نا محمد بن إسمعيل نا علي
بن عبد الله نا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن
عباس قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله
عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم إن رسول الله



الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ائتوني أكتب لكم
كتابا لن تضلوا بعدي أبدا فتنازعوا فقالوا ما له أهجر استفهموه فقال
دعوني فإن الذي أنا فيه خير وفي بعض طرقه إن النبي صلى الله عليه وسلم
يهجر وفي رواية هجر ويروى أهجر ويروى أهجرا وفيه فقال عمر إن النبي
صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط
فقال قوموا عني وفي رواية واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول
قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال
عمر قال أئمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الأمراض
وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه
معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي
إلى فساد في شريعته من هذيان أو اختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر
رواية من روى في الحديث هجر إذ معناه هذى يقال هجر هجرا إذا هذى وأهجر
هجرا إذا أفحش وأهجر تعدية هجر وإنما الأصح والأولى أهجر على طريق الإنكار على من
قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث
الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه
الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم في
حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل على رواية من رواه هجر على حذف
ألف الاستفهام والتقدير أهجر أو أن يحمل قول القائل هجر أو أهجر دهشة
من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم
وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب
فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا أنه اعتقد

انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته والله يقول والله يعصمك
من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجراً وهي رواية ابي اسحق المستملي
في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون
هذا راجعاً الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم
اي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجراً ومنكراً
من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا
الحديث وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه السلام ان يأتوه بالكتاب فقال
بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقرائن
فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا انه لم تكن منه عزمة
بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا
كف عنه اذ لم تكن عزمة ولما رأوه من صواب رأي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون
امتناع عمر اما اشفاقاً على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال
املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي اشتد به الوجع
وقيل خشي عمر ان يكتب اموراً يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى
ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب
فيكون المصيب والمخطئ مأجوراً وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملة وان الله
قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام اوصيكم بكتاب الله وعترتي
وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك
الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية
وغير ذلك وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان



كان مجيباً في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتدأ بالامر به بل اقتضاه منه
اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل
في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان كان الامر فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث
بقوله دعوني فان الذي انا فيه اي الذي انا فيه خير من ارسال الامر
وترككم وكتاب الله وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابه
امر الخلافة بعده وتعيين ذلك فصل فان قيل فما وجه حديثه ايضاً الذي
حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني بقراءتي عليه نا ابو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي
نا ابو احمد الجلودي قال نا ابراهيم بن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا قتيبة نا
ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة
يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب
كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه فايما مؤمن آذيته
او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة
وفي رواية فايما احد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية
فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة
ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن
ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك
عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله
اولاً ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان حكمه عليه السلام على الظاهر
كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده او ادبه بسبه او لعنه
بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا عليه السلام لشفقته على امته ورأفته

ورحمة للمؤمنين التي وصفه الله بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته
ان يجعل دعاءه وفعله له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لانه عليه السلام
بحكم الغضب وبسورة الضجر ان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى
صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب
بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنته او سبه
وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه والعفو
عنه وقد يحتمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي
حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد في
غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد
بها الاجابة كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها
من دعواته وقد ورد في صفته في غير حديث انه عليه السلام لم يكن فحاشا
وقال انس لم يكن سبابا ولا فحاشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا
عند المعتبة ما له ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عليه السلام
من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك
للمقول له زكوة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه
وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم
وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه
لمن جلده او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة لما اصاب وتكفية
لما اجترم وان يكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء
في الحديث ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو له كفارة فان قلت
فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصم مع الانصاري



الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال الانصاري
ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان
النبي صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة امر
يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا الى الاقتصار على
بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الآخر ولج وقال ما
لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على
هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر
الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وقد جعل
المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم
في كل ما فعله في غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان
فانه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله
عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث وكذلك الحديث
في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعمد حمل الغضب عليه بل وقع في الحديث
نفسه ان عكاشة قال له وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا اردت ام ضربت
الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله يا عكاشة ان يتعمدك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه الآخر مع الاعرابي حين طلب عليه السلام
الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم
ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يابى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه
عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه السلام اشفق

اذ كان حقن لنفسه من الامر حتى عفا عنه واما حديث سواد بن عمرو اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني
بقضيب في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن
بطنه انما ضربه عليه السلام لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه
فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه فصل واما افعاله
عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها من يتوقى المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن
جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان اكثرها
مبنيا على التدبر واذ عادته افلح على السداد والصواب بل اكثرها او كلها
جارية مجرى العبادات والقربات على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا ياخذ منها
لنفسه الا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم
شريعته ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين
معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تالف شارد
او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي وظائف
عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد
للامور اشباهها فركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة وركب
البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات وركب الخيل ويعدها ليوم الفزع
واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح لح
امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية
لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى غيره
خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه
من المدينة لاحد وقد كان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو



وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قراباتهم
وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث
وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها
وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال
لعائشة في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على
قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى
مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت
ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استئلافه ويصبر للجاهل
ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب
ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته و
ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه شيء من اطرافه وحتى كان على رؤوس
جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه
ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب
ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي ان تكون له خائنة
الاعين فان قلت فما معنى قوله لعائشة في الداخل عليه بئس ابن العشيرة
فلما دخل الان له القول وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال ان من
شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن
ويقول في ظهره ما قال فالجواب ان فعله عليه السلام كان استئلافا لمثله و
تطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فيجذب
بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا
الى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم باموال الله العريضة فكيف

بالكلمة الليّنة قال صفوان لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني
حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف
ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما
وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن
بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح
الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة
من قوله عليه السلام لعائشة وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان
يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت
ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله
كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها بالشرط
لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها قبل
حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة
فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل
من هذا ولتنزيه النبي عن ذلك ما لقد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي
لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض اذ قد يقع
لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وان اساتم فلها فعلى هذا اشترطي
عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم
من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله عليه السلام اشترطي
لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم
بعد بيان النبي لهم قبل ان الولاء لمن اعتق وكانه قال اشترطي او لا تشترطي
فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم

لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى
قوله اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان
الولاء انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك
وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف
عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية في رحله واخذه باسم سرقتها وما
جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم
اكرمك الله ان الآية تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله
لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا
ان يشاء الله الآية فاذا كان ذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه و
ايضا فان يوسف كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان
ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة
السوء والمعرة عنه بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس
من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهه ولعل قائله ان حسن له
التاويل كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك
لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان يقول الانبياء
ما لم يأت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات
غيرهم فصل فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من
الانبياء على جميعهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحنهم
بما امتحنوا به كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف
وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه
فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق

لا تبديل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لينظر كيف تعملون وليبلوكم أيكم
احسن عملا وليعلم الذين آمنوا منكم ويعلم الصابرين ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ونعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخبا ركم
فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب
لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل لبصائرهم في رحمة
الممتحنين والشفقة على المبتلين فيتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم
في الصبر ومحو الهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى
طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو
علي الحافظ ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادي
قال نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى الترمذي نا قتيبة نا حماد بن زيد
عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله
اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب
دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة وكما قال
وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير الآيات الثلث وعن ابي هريرة ما يزال
البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس عنه
عليه السلام اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد
بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث آخر
اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان
اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما
روي عن لقمان انه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن
يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلوته



صلوته اليه ويوسف نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على
اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه
وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه
فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت
عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على سطحه
الا من كان مفطرا فليتعش عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي
نص الله عليها وروي عن الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على
ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه
الله ببلائه ومحنة سليمان لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره
او للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه فائدة شدة المرض والوجع
بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت عائشة ما رايت الوجع على احد اشد منه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رايت النبي صلى الله عليه وسلم
في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل
اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين
قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى
الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معاشر الانبياء يضاعف لنا البلاء
ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى بالفقر وان كانوا
ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان
عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله
الرضا ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا

بخبره ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروى هذا عن عائشة
وابي ومجاهد وقال ابو هريرة عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه
وقال في رواية عائشة ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى
الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب
ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر
الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات
الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض
لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى
نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة
السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاءة
واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة
والسهولة وقد قال عليه السلام مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا
وهكذا وفي رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح تكفأها فاذا سكنت
اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء
معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء والامراض
راض بتصريفه بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة
سخطه كطاقة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من
حيث ما اتتها فاذا ازاح الله عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا
كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة
نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب
عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدمه



تقدمه من الآلام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب
ورقتها وضعفها بتوالي المرض وشدته والكافر بخلاف هذا معافى
في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله
هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان
موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد
الما والعذاب الآخرة اشد كانجعاف الارزة وكما قال تعالى فاخذناهم هم
بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى فكلا
اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة الآية
ففجأ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم على غير استعداد
بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجاءة ومنه في حديث ابراهيم كانوا
يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي الغضب يريد موت الفجاءة و
حكمة ثالثة ان الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف
من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم تعاهده للقاء ربه ويعرض
عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من
كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها
وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله
عليه وسلم المغفور له ما تقدم وما تأخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان
له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص منه
على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب
الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده
اما في النص على الخلافة او الله اعلم بمراده ثم راى الامساك عنه افضل وخيرا

وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين وأوليائه المتقين وهكذا الحكم بجرمه غالباً
الكفار لإملاء الله لهم ليزدادوا إثماً وليستدرجهم من حيث لا يعلمون
قال الله تعالى ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ولذلك قال عليه السلام في رجل مات فجأة سبحان
الله كأنه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجاءة راحة
للمؤمن وأخذة أسف للكافر والفاجر وذلك لأن الموت يأتي المؤمن وهو
غالباً مستعد منتظر لحلوله فهان أمره عليه كيف ما جاء وأفضى إلى راحته من
نصب الدنيا وأذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه وتأتي الكافر
والفاجر منيته على غير استعداد ولا أهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة
بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت
أشد شيء عليه وفراق الدنيا أفظع أمر صدمه وأكره شيء له وإلى هذا المعنى
أشار عليه السلام بقوله من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله
كره الله لقاءه

**القسم الرابع** في تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه عليه السلام

قال القاضي أبو الفضل رضه قد تقدم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما
يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم وإكرام
وبحسب هذا حرم الله تعالى أذاه في كتابه وأجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين
وسابه قال الله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة و
أعد لهم عذاباً مهيناً وقال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وقال
الله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً
إن ذلكم كان عند الله عظيماً وقال تعالى في تحريم التعريض به يا أيها الذين آمنوا
لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الآية وذلك أن اليهود كانوا يقولون



يقولون راعنا يا محمد أي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة
يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي
المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق إلى سبه والاستهزاء به وقيل
بل لما فيها من مشاركة اللفظ لأنها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل
بل لما فيها من قلة الأدب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لأنها في
لغة الأنصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك إذ مضمنه أنهم لا يرعونه
إلا برعايته لهم وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل حال وهذا هو عليه السلام
قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية
عن أذاه إذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا أبا القاسم
فقال لم أعنك إنما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى بإجابة
دعوة غيره لمن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة
إلى أذاه والإزراء به فينادونه فإذا التفت قالوا إنما أردنا هذا لسواه
تعنيتاً له واستخفافاً بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى
أذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته وأجازوه
بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها
وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب إن شاء الله أن ذلك على
طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه
عن اسمه لأنه قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضاً وإنما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله يا نبي
الله وقد يدعوه بكنيته أبا القاسم بعضهم في بعض الأحوال وقد روى أنس
عنه عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك إذا لم يوقر

فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروى ان عمر كتب الى الكوفة لا يسمى احد
باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد انه نظر الى
رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن
اخيه محمد بن زيد بن الخطاب الا ارى محمدا عليه السلام يسب بك والله
لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد
باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك وغير اسماءهم ثم قال لا تسموا باسماء الا نبياء
ثم امسك والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل اطباق الصحابة
على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضه وقد اخبر عليه السلام ان ذلك
اسم المهدي وكنيته وقد فصلت الكلام في هذا القسم على ما بين لحما قدمناه

الباب الاول في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب او نقص من تعريض
او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم
او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض
به او شبهه بشيء على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير لشأنه او الغض منه
والعيب له فهو ساب والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني
فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمترى فيه تصريحا كان او تلويحا نجاً
وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه
على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر
من القول وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه
ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من
العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم



جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي
صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد
واسحاق وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل وهو مقتضى قول
ابي بكر الصديق رضه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه
والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى
مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن
تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه
ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله
حد او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا في
استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع
على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي
الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء
ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله
وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابراهيم بن
حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة
لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم
احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم
عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك
في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم
يستتب قال ابن القاسم في العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه
عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله تعالى توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان

بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم
يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي المصعب وابن
ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه
او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد
انا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين
من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او
اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب
النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله
عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال ان ردا النبي
صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل
وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل
او بشي من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في
النبي الجمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما
يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية
فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال
ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان
وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله
برسول الله كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال اشد
من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابي
سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب



ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان
وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى
ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل اد واشك الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ان سألت او جهلت فقد جهل وسأل النبي بالقتل وافتى فقهاء
الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه
بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة
وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى
فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري وكان شاعرا
متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب
للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه
ونبينا عليه السلام فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره وامر بقتله وصلبه
فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين
انه لما رفعت خشبته وزالت عنه الايدي استدارت وحولته عن القبلة
فكان آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه السلام انه قال لا يلغ
الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى
الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في
خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي
مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون
استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله
عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا الباب

كذا جماعة العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك
متقدمهم ولا متأخرهم وإن اختلفوا في حكم قتله على ما أشرنا إليه ونبينه
بعد وكذلك أقول حكم من غمصه أو عيره برعاية الغنم أو السهو أو
النسيان أو السحر أو ما أصابه من جرح أو هزيمة لبعض جيوشه أو أذى
من عدوه أو شدة من زمنه أو بالميل إلى نسائه فحكم هذا كله
لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي
ما يدل عليه فصل في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه عليه السلام
فمن القرآن لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى أذاه بأذاه ه
ولا خلاف في قتل من سب الله وأن اللعن إنما يستوجبه من هو كافر
وحكم الكافر القتل فقال إن الذين يؤذون الله ورسوله الآية وقال
في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين أينما
ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك
لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون
وقاتلهم الله أي لعنهم الله ولأنه فرق بين أذاهما وأذى المؤمنين وفي أذى
المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم مؤذي الله و
نبيه أشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره حرجا
من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا أيها
الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إلى قوله أن تحبط أعما لكم
ولا يحبط العمل إلا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى وإذا جاءوك حيوك بما لم
يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين



الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ثم قال يؤذون رسول الله
لهم عذاب أليم وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب
إلى قوله قد كفرتم بعد إيمانكم قال أهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأما الإجماع فقد ذكرناه وأما الآثار فحدثنا الشيخ أبو
عبد الله أحمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ أبي ذر الهروي إجازة قال نا أبو
الحسن الدارقطني وأبو عمر بن حيويه نا محمد بن نوح نا عبد العزيز بن محمد بن
زبالة نا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن أبيه عن جده عن
محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن الحسين بن علي عن أبيه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه وفي
الحديث الصحيح أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف وقوله من لكعب بن
الأشرف فإنه يؤذي الله ورسوله ووجه إليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف
غيره من المشركين وعلل بأذاه له فدل أن قتله إياه لغير الإشراك بل
للأذى وكذلك قتل أبا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويعين عليه وكذلك أمره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا
تغنيان بسبه عليه السلام وفي حديث آخر أن رجلا كان يسبه عليه السلام
فقال من يكفيني عدوي فقال خالد أنا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله
وكذلك لم يقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث
وعقبة بن أبي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا إلا
من بادر بإسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس أن
عقبة بن أبي معيط نادى يا معشر قريش ما لي أقتل من بينكم صبرا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد

الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي
فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير وروي ايضا ان امراة كانت تسبه
عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروي
ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه
وروي ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم
وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن لابي بكر رضه ان امراة هناك في الردة
غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر ذلك
فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود
وعن ابن عباس هجت امراة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي
بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله
عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس ان اعمى كانت له ام
ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات
ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا
عند ابي بكر الصديق رضه فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل وغير
واحد من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت
ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب
عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي
ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث على قتل
من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ك



ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل
سب عمر رضه فكتب عمر اليه انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس
الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسال
الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق
افتوه بجلده فغضب وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد نبيها من شتم
الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي ابو
الفضل كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك و
مؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا
الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشهر بعلم
او من لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب
فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه
فلم يقله لمالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على
قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه عليه السلام فقد ظهرت علامة
مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة
وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين
والقول الآخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون
متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب
ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل
استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير
هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل بل قول بعضهم

ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمّن كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى
المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستترا
به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غيّر دينه وقد قال عليه السلام من
غيّر دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة
مزية على امته وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه
عليه السلام القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره فصل فان قيل
فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم
وهذا دعاء عليه ولا قتل الآخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها
وجه الله وقد تأذى النبي عليه السلام من ذلك وقال قد اوذي موسى باكثر
من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان
فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام
يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في
قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين
ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنا س فقين
فقين ويجمل صحبتهم ويغضي عليهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفاهم ما لا يجوز
لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره
الله فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف
عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتألف اول
الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله على الدين كله قتل



قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم
الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة ممن لم ينتظم قبل
سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه كابن
الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر دم جماعة سواهم
ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه حتى القوا بايديهم و
لقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه السلام على الظاهر واكثر
تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون
عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام
على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا
كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم
للدين وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا
اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده عليه السلام
من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب
من صبي او عبد او امرأة والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود
في السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عائشة
ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه صلى الله عليه وسلم اصحابه على
فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا
في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم
فقولوا عليكم وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك

تركهم وايضا فان الامر كان سرا او باطنا وظاهرهم الاسلام والايمان
وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام
لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم
بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المسلمين وانصار الدين بحكم
ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه
بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند
وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد
ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ
الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رضه ولهذا
قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين
نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود
الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز
لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي ابو
الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورو نك
فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الاية
قال معناه اذا هم اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن
اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخها ما كان قبلها
وقال بعض مشايخنا لعل القائل الذي نازع في قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل
لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وانما راها من وجه
الغلط في الراي وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا



سبا وراى انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه
وكذلك يقال في اليهود اذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب
ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر و
قيل بل المراد تسامون دينكم والسام والسامة الملال وهذا دعاء على
سامة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث
باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض
علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى قال القاضي ابو
الفضل قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه عليه السلام سواء وقال
القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم
يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب
ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه
الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك
ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج با
من ترك قتال الخوارج للتالف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا
معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام على سحره وسمه وهو
اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من حينه منهم وانزالهم لهم
من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء و
اخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين وكاشفهم
بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم
من جوارهم فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها انه عليه
السلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله

فاعلم ان هذا المقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او آذاه وكذبه فان هذه من
حرمات الله التي انتقم لها وانما لا يكون مما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب
او معاملة من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما
جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي
بازاره حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الاعرابي شراءه منه
فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه واشباه هذا
مما يحسن الصفح عنه او يكون هذا مما اذاه به كافر وجاء بعد ذلك اسلامه
كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية
التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين
فصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف غيرهم عليهم كما قررناه قبل وبالله
التوفيق فصل تقدم في قتل القاصد لسبه والازراء به وغمصه باي وجه كان
من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه الوجه الثاني لاحق في البيان و
الجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في جهته عليه السلام غير قاصد للسب
والازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه
او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلم
نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم
بين الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او يكذب
بما اشتهر من امور اخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عن قصد لرد خبره او
يأتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وان ظهر بدليل
حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره
اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه



الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى
زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا
من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم
في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال
محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو
يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر
بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله
عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقده ويفعله في صحوه وايضا
فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله
على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه
فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص
والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل
انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان
الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها
معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون فصل الوجه الثالث
ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله واتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده
او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين آخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع
يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي
الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي
صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره و
ان كان مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما

سبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال
الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او
لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول
الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من
اعلن بتكذيبه انه كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى
اليه وقاله سحنون وقال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو
كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي
تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان
معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم
في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال
محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله
فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي عليه السلام كان حكمه عند الامة القتل وقال
احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود
قتل لم يكن عليه السلام باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات
قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال
حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة
والمسر له زنديق يقتل دون استتابة فصل الوجه الرابع ان يأتي من الكلام
بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره او
يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فههنا متردد النظر وحيرة
العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك
عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى



حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد
بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه
فقال له صل على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه
فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة
الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم
يكن مضمرا الشتم وقال ابو اسحاق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل
لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم
النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة
تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا
مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء
لاجل قول الاخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل
امر الاخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه
وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو
الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا
مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة
الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم
انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم
لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من
الانبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما
ترد اليه التأويلات لا بد من اعمال النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن محمد
بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله

بني آدم ووكد أنه لم يرد الأنبياء وإنما أراد الظالمين منهم أن عليه
الأدب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك أفتى فيمن قال لعن الله من حرم
المسكر وقال لم أعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن ما جاء
به أنه إن كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الأدب الوجيع وذلك
أن هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب رسوله وإنما لعن من حرمه
من الناس على نحو فتوى سحنون وأصحابه في المسئلة المتقدمة ومثل هذا ما يجري
في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن ألف خنزير ويا ابن مائة كلب
وشبهه من هجر القول ولا شك أنه يدخل في مثل هذا العدد من آبائه وأجداده
جماعة من الأنبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع إلى آدم عليه السلام فينبغي
الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الأدب فيه ولو علم أنه قصد
سب من في آبائه من الأنبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال
لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال أردت الظالمين منهم أو قال لرجل من ذرية
النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه أو من نسله أو ولده على علم منه أنه من
ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسئلتين تقتضي تخصيص بعض
آبائه وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد كان اختلف شيوخنا
فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الآخر الأنبياء يتهمون
فكيف أنت فكان شيخنا أبو إسحاق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ
وكان القاضي أبو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده أن
يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وأفتى فيها قاضي قرطبة أبو عبد الله بن الحاج
بنحو من هذا وشدد القاضي أبو محمد تصفيده وأطال سجنه ثم استحلفه بعد
على تكذيب ما شهد به عليه إذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم أطلقه



أطلقه وشاهدت شيخنا القاضي أبا عبد الله محمد بن عيسى أيام قضائه أتي
برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد إلى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فأنكر
الرجل أن يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فأمر به إلى السجن و
تقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة
باعتقاده ضربه بالسوط وأطلقه فصل الوجه الخامس أن لا يقصد نقصا
ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض أوصافه أو يستشهد ببعض أحواله عليه السلام
الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره أو على التشبه به أو عند
هضيمة نالته أو غضاضة لحقته على طريق التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد التر فيع
لنفسه أو لغيره أو سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلام أو قصد الهزل و
التندير بقوله كقول القائل إن قيل في السوء فقد قيل في النبي وإن كذبت
فقد كذب الأنبياء وإن أذنبت فقد أذنبوا وأنا أسلم من ألسنة الناس
ولم يسلم منهم أنبياء الله ورسله أو قد صبرت كما صبر أولو العزم أو كصبر أيوب
أو قد صبر نبي الله عن عداه وحلم على أكثر مما صبرت وكقول المتنبي أنا في أمة
تداركها الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من أشعار المتعجرفين في القول المتساهلين بلين
في الكلام كقول المعري كنت موسى وافته بنت شعيب غير أن ليس فيكما من
فقير على أن آخر البيت شديد وداخل في باب الإزراء والتحقير بالنبي عليه السلام
وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي بعد محمد لقلنا محمد من أبيه
بديل هو مثله في الفضل إلا أنه لم يأته برسالة جبريل فصدر البيت الثاني
من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين أحدهما أن هذه
الفضيلة نقصت الممدوح والآخر استغناؤه عنها وهذه أشد ونحو منه
قول الآخر وإذا ما رفعت راياته وصفقت بين جناحي جبرين وقول الآخر

من اهل العصر فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان وكقول حسان
المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي
بكر بن زيدون كان ابا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان وانت محمد
الى مثل هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها
ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح
هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم
ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لاسيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا
وللسانه تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير
من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا
الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم
تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبياء نقصا ولست اعني
عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم
الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه
من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب
مجلسه او اعلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره
والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا
ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله
ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه او ندمه
على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر
على ابي نواس قوله فان يك باقي سحر فرعون فيكم فان عصا موسى بكف
خصيب وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ بعصا موسى وامر باخراجه



باخراجه من عسكره من ليلته وذكر القتيبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر به
او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم تنازع
الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان وقد انكروا
ايضا عليه قوله كيف لا يدنيك من امل من رسول الله من نفره لان حق
الرسول وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم
في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا امام
مذهبنا مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم
عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب
قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطأت الانبياء
قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال
كاتب له قد كان ابو النبي كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي
ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب الا على طريق
الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسئل القابسي عن رجل
قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال
اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع
دخل عليه حين رآه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان
هذا فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه
تصريح بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط
والسجن نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي
ذكره عندما انكر من عبوس الآخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته

فشبهه القائل على طريق الذم في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع
لربه في فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي
له التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبوسه واحتج بصفة مالك كان
اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه
لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل
اسكت فانك امي فقال الشاب اليس كان النبي اميا فشنع على مقاله وكفره
الناس واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن اما اطلاق
الكفر عليه فخطا لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
وكون النبي اميا آية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته
احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب واعترف
ولجا الى الله فيترك لان قوله لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع
فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسالة استفتى فيها بعض قضاة
الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه آخر بشيء فقال
له انما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله
عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان
بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله فصل الوجه السادس ان يقول القائل
ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته
وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب
والندب والكراهة والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف
بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله
ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق الرد له والنقض



والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات
الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ
عنه العلم او رواية الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق و
جب على سامعه الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة
عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره
وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك
ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان فان من هذه سريرته
لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم فيتاكد في هؤلاء الايجاب لحق النبي
عليه السلام ولحق شريعته وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام
بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى
حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت
به القضية وبان به الامر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير
الشهادة عليه وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في
الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل
هذا في حق الله تعالى ايسعه ان لا يؤدي شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم
بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة
والادب فليشهد ويلزمه واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين
فلا ارى لها مدخلا في هذا الباب فليس التفكه بعرض النبي عليه السلام
والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح واما
للاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات
المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم

والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه وكذلك
وقع من أمثاله في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه
المتقدمة وأجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على حكايات
مقالات الكفرة في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها والملحدين
عليهم وإن كان ورد لأحمد بن حنبل إنكار لبعض هذا على الحارث بن
أسد فقد صنع أحمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه
الوجوه السائغة الحكاية عنها فأما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه و
الإزراء بمنصبه على وجه الحكايات والأسمار والطرف وأحاديث الناس
ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء و
الخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه أشد في المنع و
العقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد أو معرفة
بمقدار ما حكاه أو لم تكن عادته أو لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو
ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة
إليه وإن قوم ببعض الأدب فهو مستوجب له وإن كان لفظه من
البشاعة حيث هو كان الأدب أشد وقد حكي أن رجلا سأل
مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال
إنما حكيته عن غيري فقال مالك إنما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله
على طريق الزجر والتغليظ بدليل أنه لم ينفذ قتله وإن اتهم هذا
الحاكي فيما حكاه أنه اختلقه ونسبه إلى غيره أو كانت تلك عادة له
أو ظهر استحسانه لذلك أو كان مولعا بمثله والاستخفاف له أو التحفظ
لمثله وطلبه ورواية أشعار هجوه عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم الساب

نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته إلى غيره فيبادر بقتله و
يعجل إلى الهاوية أمه وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر
بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من ألف
في الإجماع إجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم و
كتابه وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله أسلافنا المتقين
المتحرزين لدينهم فقد أسقطوا من أحاديث المغازي والسير ما كان
هذا سبيله وتركوا روايته إلا أشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو
الوجوه الأول ليروا نقمة الله من قائلها وأخذه المفتري عليه بذنبه وهذا
أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر إلى الاستشهاد به
من أهاجي أشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء
لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم أحد بروايته أو نشره فكيف بما يتطرق
إلى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم فصل الوجه السابع أن يذكر ما يجوز
على النبي صلى الله عليه وسلم أو يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من الأمور البشرية
به ويمكن إضافتها إليه أو يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله عليه من شدته من
مقاساة أعدائه وأذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس
زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم
ومعرفة ما صحت منه العصمة للأنبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن
هذه الفنون الستة إذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا إزراء ولا استخفاف لا في
ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب أن يكون الكلام فيه مع أهل العلم
وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من
عساه لا يفقه أو يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة

يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن
وادراكهن فقد قال عليه السلام مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم
في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك
عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه
بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب
نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج لله تعالى لهم الى كرامته و
تدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل
ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف
بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتداه والتعجب
من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته
اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا
فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك
كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتأييده بنصره وبالمؤمنين وألف بين
قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين
لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل
حين سأل ابا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك
لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذا اليتم من صفته واحدى علاماته في الكتب
المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارمياء وبهذا
وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه
امي كما وصفه الله به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة وقاعدة معجزته اذ معجزته
العظمى من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى

الله عليه وسلم وفضله به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل
ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى
العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة
المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت
الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة
لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل
شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج
حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه
منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره وسيره
وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته في اموره وخدمته
بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسويته بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء امورها
وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا
منها مورده وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم
منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره
واخبار سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي
امورا لا تليق بهم بحال وتحتاج الى تأويل وتردد احتمال فلا يجب ان يتحدث
منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث
بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس
الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء و
ليت الناس وافقوه على ترك التحدث بها وساعدوه على طيها فاكثرها ليس تحته
عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام

ومما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام
العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم
تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية فلا يكاد
يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز
ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تاويلها او حملها على ظاهرها شذر مذر
فمنهم من آمن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب الا يذكر
منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق انبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام
على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف
بانها ضعيفة المعنى واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ على ابي بكر بن فورك
تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقولة
عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام
عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس واجتثاثها
من اصلها وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز
على النبي وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذا كرة
والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الاحوال الواجب
من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند
ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ
على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته
واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه السلام تحرى
احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة
ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز عليه



الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه
من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم
قال هل يجوز الا يعلم الا ما علم وهل يمكن الا يكون عنده من بعض
علم حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال
قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة الصغائر
فهو اولى وآدب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا
من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب له من تعزير واعظام م
وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته
فيه ووجدت بعض الجائرين قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله
وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا
في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه عليه السلام اوجب
والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح الشيء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم
الامر او يهونه ولهذا قال عليه السلام ان من البيان لسحرا فاما ما اورده
على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز
عليه الكذب جملة ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا
يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا
وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه
في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى الله
فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته
اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفر به الباب الثالث في حكم
سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته

قد قدمنا ما هو سب وأذى في حقه عليه السلام وذكرنا إجماع العلماء
على قتل فاعل ذلك وقائله وتخيير الإمام في قتله أو صلبه على ما ذكرناه وقررنا
الحجج عليه وبعد فاعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور
العلماء قتله حدا لا كفرا إن أظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته
ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر
الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على
قوله أو جاء تائبا من قبل نفسه لأنه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود
قال الشيخ أبو الحسن القابسي رحمه الله إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر التوبة
قتل بالسب لأنه هو حده وقال أبو محمد بن أبي زيد مثله وأما ما بينه وبين الله
فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم
تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق إذا
جاء تائبا فحكى القاضي أبو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا
من قال أقتله بإقراره لأنه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا أنه
خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال أقبل توبته لأني أستدل على
صحتها بمجيئه فكأنا وقفنا على باطنه بخلاف من أسرته البينة قال القاضي
أبو الفضل وهذا قول أصبغ ومسألة ساب النبي أقوى لا يتصور فيها الخلاف
على الأصل المتقدم لأنه حق متعلق للنبي صلى الله عليه ولأمته بسببه لا تسقطه
التوبة كسائر حقوق الآدميين والزنديق إذا تاب بعد القدرة عليه
فعند مالك والليث وإسحاق وأحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل و
اختلف فيه عن أبي حنيفة وأبي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه



سبه عليه السلام لأنه لم ينتقل من دين إلى غيره وإنما فعل شيئا حده
عندنا القتل لا عفو فيه لأحد كالزنديق لأنه لم ينتقل من ظاهر إلى ظاهر وقال
القاضي أبو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب
الله تعالى على مشهور القول باستتابته أن النبي بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة
إلا من أكرمه الله بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من
جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام كالارتداد المقبول فيه التوبة
لأن الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين فقبلت توبته
ومن سب النبي تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده أو
يقذف فإن توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وأيضا فإن توبة المرتد
إذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي
لكفره لكن لمعنى يرجع إلى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة
قال القاضي أبو الفضل يريد والله أعلم لأن سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر و
لكن بمعنى الإزراء والاستخفاف أو لأن بتوبته وإظهار إنابته ارتفع عنه اسم
الكفر ظاهرا والله أعلم بسريرته وبقي في حكم السب عليه وكلام شيوخنا هذا
ولا مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج إلى تفصيل وأما على رواية
الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به من أهل
العلم فقد صرحوا أنه ردة قالوا ويستتاب منها فإن تاب نكل وإن أبى
قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الأول أشهر وأظهر
لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب
القتل فيه حدا وإنما نقول ذلك مع فصلين إما مع إنكاره ما شهد عليه به أو
إظهاره الإقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي

وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق
اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه
بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان
اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة
وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان وهلا ومعصية وانه مقلع
عن ذلك نادم عليه ولا يمنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص ص
وان لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلوة واما من علم انه سبه
معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه
كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا ما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب
منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره
بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر
التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله
هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات
خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر
اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء
الله تعالى فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف
في توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها
فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه
اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم
وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن ابي رباح والنخعي
والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحاق و



اصحاب الرأي وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن في احدى الروايتين
عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره
سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر
قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم
وحكي ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب
ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك
سواء وروي عن علي لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة
وروي عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة وقال ابو حنيفة قال مالك
والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما مدتها فمذهب الجمهور
وروي عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه
عن عمر وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحاق واستحسنه مالك
وقال لا يأتي الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد
بن ابي زيد يريد في الاستيناء ثلاثا وقال مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد
قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال
ابو الحسن بن القصار في تأخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك
واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الرأي وروي
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقاله
الشافعي مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري
يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل وروي عن علي رضي الله عنه يستتاب
شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته
وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة

ايام او ثلث جمع لكل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى
المرتد الى الاسلام ثلث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف في هذا
هل هو واجب او مستحب وعلى ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت
في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال
اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي
الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال
اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق
منه سواء ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه
ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى
الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن
مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم
وقال اسحاق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الرأي ان لم يتب في الرابعة
قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى
يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة
الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي فصل هذا حكم
من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من
لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله
لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا
يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة
القتل وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز
بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال من التضييق في



في السجن والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام
لضرورته ولا يقعده عن صلواته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف
عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات
الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن
مالك والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب
محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى
ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان ن
عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال
القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل في
القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه من المدة
ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما لا يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد
في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في
مسألة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط
والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى
شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك
من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون
ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة
فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في
تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد فصل هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا
صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا
خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول

عامة العلماء إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة فإنهم قالوا
لا يقتل، ما هو عليه من الشرك أعظم، ولكن يؤدب ويعزر. واستدل بعض شيوخنا
على قتله بقوله تعالى: وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الآية.
ويستدل أيضاً على قتله بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الأشرف وأشباهه
ولأنا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا، ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك
معهم، فإذا أتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا
كفاراً أهل حرب يقتلون لكفرهم. وأيضاً فإن ذمتهم لا تسقط حدود الإسلام
عنهم من القطع في سرقة أموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان ذلك
حلالاً عندهم، فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به. وورد
لأصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف إذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها
من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد. وحكى أبو المصعب الخلاف فيها عن
أصحابه المدنيين. واختلفوا إذا سبه ثم أسلم فقيل يسقط إسلامه قتله
لأن الإسلام يجب ما قبله، بخلاف المسلم إذا سبه ثم تاب، لأنا نعلم باطنه
الكافر في بغضه وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من إظهاره فلم يزدنا ما أظهره إلا
مخالفة للأمر ونقضاً للعهد، فإذا رجع عن دينه الأول إلى الإسلام سقط
ما قبله، قال الله تعالى: قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف. والمسلم
بخلافه إذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل
بعد رجوعه ولا استنمنا إلى باطنه إذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الأحكام
باقية عليه لم يسقطها شيء. وقيل لا يسقط إسلام الذمي الساب قتله لأنه حق
للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده إلحاق النقيصة
والمعرة به فلم يكن رجوعه إلى الإسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق



حقوق المسلمين من قبل إسلامه من قتل وقذف، وإذا كنا لا نقبل توبة
المسلم فأن لا نقبل توبة الكافر أولى. قال مالك في كتاب ابن حبيب المبسوط
وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ فيمن شتم نبياً من أهل
الذمة أو أحداً من الأنبياء عليهم السلام قتل إلا أن يسلم. وقاله ابن القاسم
في العتبية وعند محمد وابن سحنون. وقال سحنون وأصبغ: لا يقال له أسلم
ولا لا تسلم، ولكن إن أسلم فذلك له توبة. وفي كتاب محمد أخبرنا أصحاب
مالك أنه قال: من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيين
من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب. وروي لنا عن مالك إلا أن يسلم
الكافر. وقد روى ابن وهب عن ابن عمر أن راهباً تناول النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه. وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي
قال إن محمداً لم يرسل إلينا إنما أرسل إليكم وإنما نبينا موسى أو عيسى ونحو
هذا، لا شيء عليهم لأن الله أقرهم على مثله. وأما إن سبه فقال ليس بنبي أو لم
يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله أو نحو هذا فيقتل. قال ابن
القاسم: وإذا قال النصراني ديننا خير من دينكم إنما دينكم دين الحمير ونحو هذا
من القبيح، أو سمع المؤذن يقول أشهد أن محمداً رسول الله فقال كذلك
يعطيكم الله، ففي هذا الأدب الموجع والسجن الطويل. قال: وأما إن شتم النبي شتماً
يعرف فإنه يقتل إلا أن يسلم، قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب. قال ابن
القاسم: ومحمل قوله عندي إن أسلم طائعاً. وقال ابن سحنون في سؤالات
سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن إذا تشهد كذبت يعاقب
العقوبة الموجعة مع السجن الطويل. وفي النوادر من رواية سحنون عنه: من شتم
الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت

عنقه الا ان يسلم قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى
الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك
ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان
من دينه استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا قال سحنون كما لو بذل
لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل
كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من
سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل ما ذكره ابن سحنون
عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما
به كفروا فتامله ويدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى
ابو المصعب الزهري قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد
فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة وامرت من جر
برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو المصعب عن نصراني قال
عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم سالنا مالكا عن نصراني
بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة ماله لم ينفع نفسه اذ كا نت
الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس قال مالك ارى ان
تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم فيها ثم رايت انه لا يسعني الصمت
قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى
فارى للامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء
احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا في سبه ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر
مسئلة ابن القاسم المتقدمة قال فامرني مالك فكتبت بان يقتل وان تضرب
عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله اكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق



بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت
الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة
سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة
عيسى لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها به قال
غير واحد من المتاخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو القاسم بن
الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب
وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب ثم يسلم روايتين في درء القتل عنه باسلامه
وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن
الذمي اسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف فحق
للعباد كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم
ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي
صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره
ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين فتامله فصل في ميراث من قتل
بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلوة عليه اختلف العلماء في ميراث
من قتل بسب النبي عليه السلام فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين من قبل
ان شتم النبي كفر يشبه كفر الزنديق وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان
كان مستسرا بذلك وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل
على كل حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم
في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من
الميراث في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه
في ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة

منه فقتل على ذلك كان كافراً وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه
ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ أبي الحسن
في المجاهر المتمادي بيّن لا يمكن الخلاف فيه لأنه كافر مرتد غير تائب
ولا مقلع وهو مثل قول أصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق
يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من أصحاب مالك
في كتاب ابن حبيب فيمن أعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم
المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من أهل الدين الذي ارتد إليه ولا يجوز
وصاياه ولا عتقه وقاله أصبغ قتل على ذلك أو مات عليه وقال أبو محمد بن
أبي زيد وإنما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه
فأما المتمادي فلا خلاف أنه لا يورث وقال أبو محمد فيمن سب الله تعالى
ثم مات ولم تعدل عليه بينة أو لم تقبل أنه يصلى عليه وروى أصبغ عن ابن
القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول أو أعلن ديناً مما يفارق رق
به الإسلام أن ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك أن ميراث المرتد
للمسلمين ولا يرثه ورثته ربيعة والشافعي وأبو ثور وابن أبي ليلى واختلف
فيه عن أحمد وقال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن المسيب والحسن
والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والأوزاعي والليث وإسحاق وأبو حنيفة
يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه
في الارتداد فللمسلمين وتفصيل أبي الحسن في باقي جوابه حسن بيّن وهو على
رأي أصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قول مالك في ميراث الزنديق
فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فأنكرها أو اعترف
بذلك وأظهر التوبة وقاله أصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من أصحابه لأنه مظهر

١٨٥

مظهر للإسلام بإنكاره أو توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد
أن ميراثه لجماعة المسلمين لأن ماله تبع لدمه وقال به أيضاً جماعة من
أصحابه وقاله أشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم
في العتبية إلى أنه إن اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث وإن لم يقر
حتى قتل أو مات ورث قال وكذلك كل من أسر كفره فإنهم يتوارثون
بوراثة الإسلام وسئل أبو القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي
صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه أهل دينه أم المسلمون فأجاب أنه للمسلمين
ليس على جهة الميراث لأنه لا توارث بين أهل ملتين ولكن لأنه من فيئهم لنقضه
العهد هذا معنى قوله واختصاره

## الباب الثالث في حكم من سب الله

وملائكته وأنبياءه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وصحبه
لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في
استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه
ابن القاسم عن مالك في كتاب إسحاق بن يحيى من سب الله تعالى من
المسلمين قتل ولم يستتب إلا أن يكون افتراء على الله بارتداده إلى
دين دان به وأظهره فيستتاب وإن لم يظهره لم يستتب وقال في
المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن
أبي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني
فإن تابوا قبل منهم وإن لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله
كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وأفتى أبو محمد
بن أبي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلاً ولعن الله فقال إنما أردت أن

العن الشيطان قرن السائل قال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره
واما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة
هارون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم
وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في
مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابراهيم بن حسين
بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كا
التصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد
بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي راى عليه التثقيل في
الحبس والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في
ساب الله بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله
فاشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار الانتقال الى دين آخر من الاديان
المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام ٢
قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا
احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى آخر واظهر
السب بمعنى الارتداد فهذا قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه
بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب
اكثر العلماء وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف
في فصوله **فصل** واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب
والردة وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي
الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما
اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك



مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون
فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك
واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة
سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول
محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في
جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد
العزيز وجده وعمه وقولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا
وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم
ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتأويل كتاب الله يستتابون
اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال
مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم
ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله في المبسوط في الاباضية والقدرية و
اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد
العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان
تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من
الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال
ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية
الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور
في زواج القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك
وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئا من ذات
الله تعالى واشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه

لانه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا
في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر
بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني
والقاضي ابو عبد الله التستري من ائمة العراقيين جوابه مختلف يقتل
المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلوة خلفهم
وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري واكثر اقوال السلف
تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم ذلك فيمن
قال بخلق القران وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث
وابو اسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في اخرين وهو من قول اكثر
المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء
المضلة واصحاب البدع المتاولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في
الواقفة والشاكة في هذه الاصول وممن روي عنه معنى القول الاخر بترك
تكفيرهم علي بن ابي طالب وابن عمر والحسن البصري وهو راي جماعة من
الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة
اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين و
جري احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية
وسائر اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في
الارض كما قال في المحارب ان راى الامام قتله وان لم يقتل قال وفساد
المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضا
في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد
يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة فصل في تحقيق القول



في اكفار المتاولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب
البدع والاهواء المتاولين ممن قال قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف
عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون
في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم
من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين
وقالوا هم فساق عصاة ضلال نورثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم
ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم وهو قول جميع اصحاب
مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام
واضطرب اخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير او ضده واختلاف
قولي مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلوة خلفهم منه والى نحو من هذا
ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات اذ القوم
لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في المسئلة
على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على
راي من كفرهم بالتاويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوة على
ميتهم ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث
ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك
التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله
ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى وقال
مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف
به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله في اجوبته لابي محمد عبد الحق
وكان سأله عن المسئلة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال

كافر في الملة. وأخرج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين
الذي يجب الاحتراز من التكفير في أهل التأويل فإن استباحة دماء المصلين
الموحدين خطأ والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك
محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه السلام فإذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني
دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة
ولا ترتفع ويستباح خلافها إلا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه
وألفاظ الأحاديث الواردة في الباب معرضة للتأويل فما جاء منها في التصريح
بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الإسلام وتسمية الرافضة بالشرك وإطلاق
اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من أهل الأهواء فقد يحتج بها من يقول
بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ في الحديث في غير
الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر وإشراك دون إشراك وقد
ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية وإذا كان محتملا
للأمرين فلا يقطع على أحدهما إلا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم من شر
البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت أديم السماء طوبى لمن
قتلهم أو قتلوه وقال فإذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر
لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر إنما ذلك من
قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليل من الحديث نفسه يقتلون أهل
الإسلام فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس
كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني أضرب عنقه
يا رسول الله فقال لعله يصلي فإن احتجوا بقوله عليه السلام يقرأون القرآن
لا يجاوز حناجرهم فأخبر أن الإيمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من



من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه حتى يعود السهم على فوقه
وبقوله سبق الفرث والدم يدل على أنه لم يتعلق من الإسلام بشيء أجابه
الآخرون أن معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا
تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى في الفوق
وهذا يقتضي التشكيك في حاله وإن احتجوا بقول أبي سعيد الخدري في هذا الحديث
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الأمة ولم يقل من هذه
وتحرير أبي سعيد الرواية وإتقانه اللفظ أجابهم الآخرون بأن العبارة بفي
لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الأمة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم
رجح من الأمة مع أنه قد روي عن أبي ذر وعلي وأبي أمامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج
جهم من أمتي وسيكون من أمتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على إخراجهم
من الأمة بفي ولا على إدخالهم فيها بمن لكن أبا سعيد رضي الله عنه أجاد ما شاء في التنبيه
الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها
من الألفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لأهل السنة
ولغيرهم من الفرق وفيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة أقربها قول جهم ومحمد بن
شبيب أن الكفر بالله الجهل به لا يكفر أحد بغير ذلك وقال أبو الهذيل إن كل
متأول كان تأويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر
وكل من أثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين إن كان
ممن عرف الأصل وبنى عليه وكان فيما هو من أوصاف الله فهو كافر وإن لم يكن
من هذا الباب ففاسق إلا أن يكون ممن لم يعرف الأصل فهو مخطئ غير كافر
وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري إلى تصويب أقوال المجتهدين في أصول الدين
فيما كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق الأمة إذ أجمعوا سواه على أن

الحق في أصول الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وإنما الخلاف في تكفيره
وقد حكى القاضي أبو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود والأصبهاني قال
وحكى قوم عنهما أنهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع
في طلب الحق من أهل ملتنا أو من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة
في أن كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم
لا حجة لله عليهم إذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا
من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر
أحدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم هم
أو شك قال القاضي أبو بكر لأن التوقيف والإجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف في
ذلك فقد كذب النص والتوقيف أو شك فيه والتكذيب والشك فيه
لا يقع إلا من كافر **فصل** في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو يختلف
فيه وما ليس بكفر **اعلم** أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده
الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا أن كل مقالة صرحت
بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله أو مع الله فهي كفر كمقالة
الدهرية وسائر فرق أصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية وأشباههم
من الصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا بعبادة الأوثان أو الملائكة
أو الشياطين أو الشمس أو النجوم أو النار أو أحد غير الله من مشركي العرب وأهل الهند
والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع إلى كتاب وكذلك القرامطة وأصحاب
الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف
بالإلهية ووحدانيته ولكنه اعتقد أنه غير حي أو غير قديم وأنه محدث أو مصور
أو ادعى له ولدا أو صاحبة أو والدا أو أنه متولد من شيء أو كائن عنه أو أن

أو أن معه في الأزل شيئا قديما غيره أو أن ثم صانعا للعالم سواه
أو مدبرا غيره فذلك كله كفر بإجماع المسلمين كقول الإلهيين من
الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج
إليه ومكالمته أو حلوله في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية
والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم أو بقائه
ح أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية أو قال بتناسخ الأرواح
وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص وتعذيبها أو تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك
من اعترف بالإلهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من أصلها عموما
أو نبوة نبينا خصوصا أو أحد من الأنبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه
بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والأروسية من النصارى
والغرابية من الروافض الزاعمين أن عليا كان المبعوث إليه جبريل
وكالمعطلة والقرامطة والإسماعيلية والعنبرية من الرافضة وإن كان
بعض هؤلاء قد أشركوا في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية
وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه السلام ولكن جوز على الأنبياء الكذب
فيما أتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه أو لم يدعها فهو كافر بإجماع كا
المتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة وأصحاب الإباحة
فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار
عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء
على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة
لهم إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم فمضمن مقالاتهم إبطال الشرائع وتعطيل
الأوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتوا به وكذلك من أضاف

او ان نبينا تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال
انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او ازرى عليهم او اذاهم او
قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب
بعض القدماء في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة
والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير
اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه
من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك
نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا عليه السلام
ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي وليس الذي كان بمكة و
الحجاز او ليس بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك
من ادعى نبوة احد مع نبينا عليه السلام او بعده كالعيسوية من اليهود
القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل
وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم
وبعده وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية
والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان واشباه هؤلاء او من ادعى
النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة
وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه
يصعد الى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء
كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عليه السلام انه خاتم
النبيين ولا نبي بعده واخبر عن الله تعالى انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة
للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون

دون تاويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوايف كلها قطعا اجماعا
وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص
حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج
بابطال الرجم ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم
او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد
ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك
نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة كقول
الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا
وكفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه
لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن اذ ناقلوه كفرة
على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة
ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم
لعنة الله عليهم وصلى على رسوله وآله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر
الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود
للصنم وللشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها والتزيي
بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من
كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك
اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر او الزنا مما حرم الله
بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع
بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر
من فعل الرسول ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات وعدد

ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا في كتابه الصلوة على الجملة وكونها
خمساً وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القران نص
جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير من قال من الخوارج
ان الصلوة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض اسماء رجال
امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول
بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت
بهم الى اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك ان
انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج واجب في القران ن
واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك
البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك او غيرها ولعل
الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا
فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط
المسلمين فلا يجد بينهم خلافاً كافةً عن كافةٍ الى معاصري الرسول صلى الله
عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي
فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون
وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به
وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات
المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك ب
وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب
في ذلك او المنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر بقوله
لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري



لا يدري وايضاً فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه
من ذلك واجمعوا انه قول الرسول وفعله وتفسير مراد الله به ادخل
الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقران وانحلت عرى
الدين كرة ومن قاله كافر وكذلك من انكر القران او حرفاً منه
او غير شيئاً منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس
بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام
الفوطي ومعمر الصيمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على
ثواب ولا عقاب لا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك
تكفيرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله لمخالفتهم الاجماع
والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القران ن
به وكذلك من انكر شيئاً مما نص فيه القران بعد علمه انه من القران الذي
في ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلاً به ولا قريب عهد
بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز
الوهم على ناقله فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للنبي صلى الله
عليه وسلم لكنه يستتر بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار او البعث
والحساب او القيامة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواتراً
وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر
والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة
كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيامة
الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض

الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل
من الانبياء. فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد
التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار
غزوة تبوك ومؤتة او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان وخلافة علي مما علم
بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار
وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة
الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين
ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر
الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء
والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط
الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
له الهدى الاية وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام
من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب آخرون الى التوقف
عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره
الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف باحتجاجهم به خارق الاجماع
قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو
العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا راي الا ان يكون هو الجهل بالله فان
عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر
او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر
فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلثة امور احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان ياتي فعلا
او يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر



كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم
او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان
وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما
من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك
كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات
الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى
الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام
فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه
الصفات فاختلف العلماء ههنا فكفره بعضهم وحكي ذلك عن ابي جعفر
الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري مرة وذهبت طائفة الى ان هذا
لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا
يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما نكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج
هؤلاء بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد
لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال
فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما
وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه منها ان
قدر بمعنى قدر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل في نفس البعث الذي
لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه
حينئذ كفرا الا ان ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى
ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله
وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي

اذ يلبث لله فلم يؤاخذ به وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك
ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم في قوله لعله يتذكر
او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف
ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سائر
الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره
لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا
عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق اهل التأويل من المشبهة والقدرية
وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم
قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي
الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول اليه على ما اصلناه
فعلى هذين المأخذين اختلف الناس في اكفار اهل التأويل فاذا فهمته اتضح
لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن
الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومنا كحتهم
ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم
يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه
كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة وبعدهم في
التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما
ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب والنفي
والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند المحققين
واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب
قال القاضي ابو بكر واما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الافعال



الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع من اكفار
المتأولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا اجمع
المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من
الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله فصل هذا حكم
المسلم الساب لله تعالى واما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر في ذمي
تناول من حرمة الله غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه
بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن
القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله من اليهود و
النصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القاسم
الا ان يسلم قال في المبسوط طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا
هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد واما غير
هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في
كتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر
في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي في المبسوط ومحمد بن مسلمة وابن ابي
حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل
وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال ابو محمد بن ابي زيد من سب الله (تعالى)
بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل
وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم
بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به بالله والنبي واجماعهم على ذلك وهو نحو
القول الآخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا
فرق في ذلك بين سب الله وسب نبيه لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا

لنا شيئاً من كفرهم والا يستعلنوا باشيا من ذلك ممن فعلوا اشيا منه فهو
نقض لعهدهم واختلف العلما في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف
وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن
الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا يؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب
وما اعلم من قاله غيره فصل هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق بجلاله
والاهيته فاما مفتري الكذب على الله تبارك وتعالى بادعاء الالاهية او الرسالة
او النفي ان يكون الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل
من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة
عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل
فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك
زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف
استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق
لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي واما
المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية
فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب
على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالي ادبه على ذلك حتى
ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن ابي
طالب رضي الله عنه من ادعى له الالاهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي
وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم واجمع علماء
وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد
ايام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه



لدعواه الالاهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر
بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن ابي الغراقيد وكان على نحو مذهب
الحلاج بعد هذا ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ ابو الحسين بن ابي
عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه
من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم
في كتاب ابن حبيب والعتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك او اعلنه
وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله اشهب في يهودي تنبأ او ادعى انه رسول
الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد بن
ابي زيد فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل
بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الآخر من انه لا تقبل توبته وقال ابو
الحسن القابسي في سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب فان عاد الى مثل
قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين فصل واما من تكلم من
سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف
بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته
او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف
ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة
ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان
ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل
من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال
بدأ الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد
الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه

عبث من القول يحكى فيه الادب وافتى بمثله القاضي حموسى بن زياد وقال ابن
حبيب ومنه في عنق الشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء ما نحن
له بعابدين فبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت
عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده
بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل
القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت
عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وازراء
فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح
سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه
لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي
ابو الفضل وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو
قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من
سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك
بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها ها
لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا
من اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا وما لكا
قد كنت تسقينا فما بدا لكا انزل علينا الغيث لا ابا لكا في اشباه لهذا من
كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تاديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر
الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العود الى مثله قال ابو سليمان
الخطابي وهذا تهور من القول والله منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون
بن عبد الله قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله



الله الكلب وفعل به كذا وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر
اسم الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا
وقل ما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا
الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم
فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله جل
وعز ويتنزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم
تعالى على الوجوه التي فصلناها والموفق الله فصل وحكم من سب سائر انبياء الله
وملائكته واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه السلام
على مساق ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله الاية وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا
وما انزل الى ابرهيم الاية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد
وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم
الانبياء او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة
قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء من
اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم وقد تقدم
الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته
من سب الله وملائكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه
القتل وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطأ بالوحي وانما كان
النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا
قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبي اشبه بعلي

من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من كذب باحد
من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ منه فهو مرتد وقال ابو الحسن
القابسي في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد
ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة
الملائكة والنبيين او على معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين ممن
نص الله عليه في كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه
بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية و
حملة العرش المذكورين في القرآن من الملائكة ومن سمي فيه من الانبياء
وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على
قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من
الملائكة او الانبياء كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي
القرنين ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت
الذي تدعي المجوس والمؤرخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كا
لحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم
ويؤدب بقدر حال المقول فيه لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان
لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الآخر من الملائكة فان كان المتكلم
في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوام
الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في
مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة
فصل واعلم ان من استخف بالقرآن او المصحف او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا
منه او آية او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت



او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء من ذلك فهو كافر
عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله
نا ابو علي نا ابن عبد البر نا ابن عبد المؤمن نا داسة نا ابو داود نا احمد بن حنبل نا
يزيد بن هارون نا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال المراء في القرآن كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب
عنقه وكذلك من جحد التوراة والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها
او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القرآن المتلو في جميع اقطار الارض ص
المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب
العالمين الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف
آخر مكانه او زاد فيه ما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه
ليس من القرآن عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا رأى مالك من سب عائشة رضي الله عنها
بالفرية لانه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل اي لانه كذب بما فيه وقال
ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن
مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله تضرب
عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد
على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه انه قال ان الله لم يتخذ ابراهيم
خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد
جميع من ينتحل التوحيد متفقون ان الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية

أو أقرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول أما أنا فأقرأ كذا فبلغ
ذلك إبراهيم فقال أراه سمع أنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال
عبد الله بن مسعود من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله وقال أصبغ
بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به فقد
كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا
فحلف له بالتوراة فقال الآخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد
ثم شهد آخر أنه سأله عن القضية فقال إنما لعنت توراة اليهود فقال
أبو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الأمر بصفة تحتمل التأويل
إذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق
الشاهدان على لعن التوراة مجردا لضاق التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد
على استتابة ابن شنبوذ المقرئ أحد أئمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن
مجاهد لقراءته وإقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه
بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا أشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير أبي
علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن أفتى عليه بذلك أبو بكر
الأبهري وغيره وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بالأدب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك
وما علمك وقال أردت سوء الأدب ولم أرد القرآن قال أبو محمد وأما
لعن المصحف فإنه يقتل فصل وسب آل بيته وأزواجه وأصحابه عليه السلام
وتنقصهم حرام ملعون فاعله نا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله نا أبو الحسين
الصيرفي وأبو الفضل العدل نا أبو يعلى نا أبو علي السنجي نا ابن محبوب نا
الترمذي نا محمد بن يحيى نا يعقوب بن إبراهيم نا عبيدة بن أبي رابطة
عن عبد الرحمن بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في



في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي
أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني
فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال عليه السلام لا تسبوا أصحابي فإنه يجيء قوم
في آخر الزمان يسبون أصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم
ولا تجالسوهم وإن مرضوا فلا تعودوهم وعنه عليه السلام من سب أصحابي فاضربوه
وقد أعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن سبهم وأذاهم يؤذيه وأذى النبي حرام
وقال لا تؤذوني في أصحابي ومن آذاهم فقد آذاني وقال لا تؤذوني في عائشة
وقال في فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وقد اختلف العلماء في هذا
فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والأدب الموجع قال مالك رحمه الله من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم أصحابه أدب وقال أيضا من شتم أحدا
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن
العاص فإن قال كانوا على ضلال وكفر قتل وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة
الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان
والبراءة منه أدب أدبا شديدا ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة
عليه أشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل إلا في
سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر أحدا من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم عليا أو عثمان أو غيرهما يوجع ضربا وحكى أبو محمد بن أبي زيد
عن سحنون من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إنهم كانوا على ضلالة وكفر
قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك

من سب ابا بكر جلد ومن سب عايشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف
القران وقال ابن شعبان عنه لان الله يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا ان كنتم مومنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي
ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه اليه المشركون
سبح نفسه لنفسه كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في آي كثيرة وذكر تعالى
ما نسبه المنافقون الى عايشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم
بهذا سبحانك سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من السوء
وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عايشة ومعنى هذا والله اعلم ان الله
لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه وقرن سب نبيه واذاه
باذاه تعالى وكان حكم موذيه تعالى القتل كان موذي نبيه كذلك كما قدمنا
وشتم رجل عايشة بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا
فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين وحلق راسه واسلمه الى الحجامين وروي
عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان عبيد الله ابن عمر اذ شتم المقداد بن
الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب اتي باعرابي
يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك من انتقص احدا
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في
ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم قال والذين تبوؤا الدار
والايمان من قبلهم الاية وهؤلاء الانصار ثم قال والذين جاؤا من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية فمن تنقصهم
فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم انه ابن

١٩٢

ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه ولا
اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله عليه السلام من سب
اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية لانه سب
له فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين
كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم
صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولي القيام به قال ومن سب
غير عايشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل لانه سب
النبي صلى الله عليه وسلم بسب حليلته والاخر انها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري
قال وبالاول اقول وروى ابو مصعب عن مالك من اغتسب الى بيت النبي صلى الله
عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف
بحق الرسول وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل انكر تحليف امراة بالليل
وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض
المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب
الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو اخص باسم الفسق من اسم
الفقه فيتقدم اليه في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة
فيه ويبغض في الله قال القاضي ابو الفضل هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانجز الغرض
الذي انتحيناه واستوفي الشرط الذي شرطناه مما ارجو ان في كل قسم منه للمريد مقنع
وفي كل باب منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع
وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها في اكثر التصانيف مشرع واودعته
غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه او مقتدى يفيدنيه
عن كتابه او فيه لاكتفي بما اذكره عما اذكره والى الله تعالى جزيل الضراعة في

ودعته

المنة بقبول ما سننه لوجهه والعفو عما تخلله من تزيين وتصنع لعزه وان يهب
لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه وامينه وحبيبه و
اسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فيه خواطرنا من ابراز خصائصه
ووسائله ويحمي اعراضنا عن نار الموقدة لحبنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد
اذا ازيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا
باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه
وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا في الرعيل الاول
واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدانا اليه من جمعه والهمنا
وفتح البصيرة لدرك حقائق ما اودعناه وفهمه ونستعيذه جل اسمه من دعاء
لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي لا يخيب من امله
ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين ولا يصلح عمل
المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته
على سيدنا ونبينا محمد خاتم النبيين وعلى
آله وصحبه اجمعين وسلم
تسليما كثيرا آمين

تم تحرير كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم
على يد افقر خلق الله تعالى واحقرهم واحوجهم الى لطفه الخفي الحاج
عثمان بن شعبان عفى الله عنه وغفر له ولوالديه ولمن قرا او نظر
فيه او سمعه او ملكه ودعا له بالعفو والمغفرة ولجميع المؤمنين والمؤمنات
وذلك في يوم الجمعة في الربيع الآخر في وقت بين الصلوتين في سنة
سبع واربعين ومائة والف في اسلامبول حماها الله عن البلايا والآفات